الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الشهيد حمّه لخضر الوادي

كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية
قسم: العلوم الإنسانية

كفاح الفضيل الورثيلاني من أجل الجزائر

1900-1959م

مذكرة مكملة تدخل ضمن متطلبات نيل شهادة الماستر

تخصص: تاريخ المغرب العربي المعاصر

إعداد الطالبة:
باية ريدة

إشـــراف الدكتور:
الطاهر سبقاق

أعضاء لجنة المناقشة

الاسم واللقب	الرتبة	الجامعة	الصفة
أ. د رضوان شافو	أستاذ التعليم العالي	جامعة الشهيد حمه لخضر الوادي	رئيسا
د. الطاهر سبقاق	أستاذ محاضر أ	جامعة الشهيد حمه لخضر الوادي	مشرفا ومقررا
د. موسى بن موسى	أستاذ محاضر أ	جامعة الشهيد حمه لخضر الوادي	ممتحنا

السنة الجامعية: 2019 – 2020 م

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الشهيد حمّه لخضر الوادي

كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية
قسم: العلوم الإنسانية

كفاح الفضيل الورثيلاني من أجل الجزائر

1900-1959م

مذكرة مكملة تدخل ضمن متطلبات نيل شهادة الماستر

تخصص: تاريخ المغرب العربي المعاصر

إعداد الطالبة:
باية ريدة

إشـــراف الدكتور:
الطاهر سبقاق

أعضاء لجنة المناقشة

الاسم واللقب	الرتبة	الجامعة	الصفة
أ. د رضوان شافو	أستاذ التعليم العالي	جامعة الشهيد حمه لخضر الوادي	رئيسا
د. الطاهر سبقاق	أستاذ محاضر أ	جامعة الشهيد حمه لخضر الوادي	مشرفا ومقررا
د. موسى بن موسى	أستاذ محاضر أ	جامعة الشهيد حمه لخضر الوادي	ممتحنا

السنة الجامعية: 2019 – 2020 م

بسم الله الرحمن الرحيم

إهـــــــــداء

- إلى والدي الكريمين أطال الله في عمرهما وجعلني ممن يرد فضلهما وخيرهما عليّ "محمد ريدة" و "زهرة ريدة"

- أهدي هذا العمل إلى كل من أجدادي رحمهم الله وطيب ثراهم بن حرز الله ريدة وأخوه دحمان ريدة.

- ولن أنسى إخوتي وأخواتي لحسن، حمزة، عثمان، إبراهيم، بشرى، سندس، فاطمة، نجاة.

- إلى كل الأقارب والأهل والأحباب

- إلى الغاليتين على قلبي مسعودة بن علية و صبرينة بطينة

- إلى كل هؤلاء أهدي ثمرة جهدي

شكـــر وعرفـــان

- ـ إن الشكر والحمد أولا وقبل كل شيء لله جل علاه على توفيقه لي، وما كنت لأوفق لهذا لولاه.

- ـ ثم أتقدم بخالص عبارات الشكر والامتنان والتقدير إلى أستاذي المحترم الدكتور الطاهر سبقاق الذي تفضّل بالإشراف على هذا البحث.

- وقدم لي التوجيهات، ولم يبخل علي في ذلك فله مني خالص عبارات الشكر والتقدير.

- – كما أتقدم بالشكر الجزيل إلى عمال مكتبة عين الصحراء بتقرت، ومكتبة دار البلدية كذلك على المساعدة في تقديم الكتب.

قائمة المختصرات:

الاختصار	**معناه**
ط	طبعة
ج	جزء
ص	صفحة
ص.ص	صفحتين فأكثر
د.ط	دون طبعة
تق	تقديم
مج	مجلد
ع	عدد
ج ع م ج	جمعية العلماء المسلمين الجزائريين
ج.د.ا.ش	جبهة الدفاع عن إفريقيا الشمالية
ح.ع.2	الحرب العالمية الثانية

مقدمة

أولا- تقديم الموضوع:

تعد جمعية العلماء المسلمين الجزائريين من أهم التنظيمات التي شهدتها الجزائر أثناء فترة الاحتلال الفرنسي المناهضة للاستعمار، وقد عرف عن هذا التنظيم بمناهضته للإستعمار اجتماعيا وثقافيا، حيث حملت على عاتقها مهمة الدفاع عن مقومات الشخصية الجزائرية التي يعتبر الدين الإسلامي مرتكز أساسي فيها، فهي تجزم ان بدونه – الدين الإسلامي – لا يتحقق النصر والاستقلال، الذي تنادي وتعمل من أجله بعض الأحزاب في الجزائر، كيف يتحقق للجزائر ذلك-الاستقلال- وقاعدة مجتمعها بعيدة عن ركائزها المتينة- القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة- حيث عملت الجمعية في الميدان الإصلاحي والتعليمي وكونت الأندية وفتحت العديد من المدارس لتخريج أولئك الأئمة والرجال العظام الذين سوف يحملون لواء الكفاح من أجل استرداد السيادة والاستقلال، وما الشيخ الفضيل الورثيلاني إلا رائدا من رواد هذه الجمعية المباركة التي كان لها الفضل بعد الله عز وجل في نبوغه وتعليمه، وصقل مواهبه، وجعلت منه شخصية ثائرة من أجل وطنها الصغير الجزائر والكبير الوطن العربي والأكبر العالم الإسلامي، حيث يعد الورثيلاني من أكثر الشخصيات التي كان لها أثر فكري إصلاحي وسياسي، حيث عمل في داخل الوطن للتعليم والتوجيه وخارج الوطن لمواصلة هذه الرسالة ومد جسور بين الوطن الأم وديار الغربة، فعلى الصعيد السياسي فان المتتبع لمسار هذا الرجل يجد أنه أفنى عمره في الحل والترحال في مختلف أقطار العالم سواء العربية أو الغربية لأجل نقل وإسماع صوت القضية الجزائرية إلى العالم وتدوينها ضمن القضايا العادلة والتي تستحق أن ينظر إليها بعين الاعتبار في أهم الهيئات الدولية كالجامعة العربية وهيئة الأمم المتحدة وجميع المؤتمرات التي وفقه الله عز وجل في حضورها.

رغم أن الورثيلاني كان بعيدا عن وطنه أثناء عمله ، إلا أنه لم ينس يوما أصوله ولم ينس ما يعانيه وطنه الصغير الجزائر والمغرب العربي عموما، وسعى دوما لتحقيق الوحدة العربية والإسلامية لأجل مناهضة الاستعمار والوقوف وقفة رجل واحد في وجهه.

ثانيا: دوافع اختيار الموضوع:

– من الدوافع التي جعلتني أختار هذا الموضوع ما يلي:

1– الرغبة في دراسة شخصية جزائرية وطنية، عملت بكل جد وإخلاص و تفان لأجل الوطن.

2– تعريف الشباب الجزائري الناشئ بهذه الشخصية الفذة التي كان لها صدا كبير داخل الوطن وخارجه من خلال مجهوداتها المبذولة لاجل القضية الجزائرية، الا أنها لم تستوفى حقها في الدراسات الاكاديمية.

3– التعرف أكثر على عوامل وسر نبوغ الورثيلاني التي جعلت منه شخصية وطنية قوية كلفت نفسها بأصعب المهام في ظل ظروف أقل ما يقال عنها أنها شديدة الخطورة.

4–معرفة الى اي مدى ساهم الورثيلاني في التأثير على مسار القضية الجزائرية خاصة أثناء الثورة التحريرية.

ثالـثا: الإشكاليــة:

وتتمثل الإشكالية الرئيسية للموضوع فيما يلي:

- من هو الفضيل الورثيلاني؟ وما هي إسهاماته النضالية من أجل القضية الجزائرية؟

ويتفرع عن هذه الإشكالية الرئيسية المزدوجة التساؤلات الفرعية التالية:

- فيم تتمثل العوامل التي ساهمت في تكوين شخصية الفضيل الورثيلاني؟
- فيم تجلى أو برز دوره الإصلاحي في الجزائر وخارجها لأجل القضية الجزائرية؟
- فيم تجلى دوره السياسي لأجل كسب الدعم والتأييد للقضية الجزائرية؟
- هل استطاع الورثيلاني الحصول على الدعم الملموس من خلال مجهوداته لدعم الثورة التحريرية الجزائرية؟

رابعا: خطة المعالجة:

لمعالجة الإشكالية المذكورة أعلاه والإجابة على الأسئلة المتصلة بها فقد قسمنا بحثنا إلى ثلاث فصول رئيسية وقد كانت على النحو التالي:

– الفصل الأول: المتعلق بحياة الفضيل الورثيلاني من 1900–1959م حيث حاولنا الإلمام بجميع مراحل حياته من المولد إلى الوفاة بذكر أهم العوامل والمراحل والرحلات التي مر بها وقد قمنا بتقديم شهادات حول شخصيته لنكون ملمين أكثر وندعم بحثنا.

– الفصل الثاني: وقد خصصناه لجهوده في الميدان الإصلاحي والتربوي لأجل توعية الجزائريين داخل الوطن وخارجه.

– أما الفصل الثالث: فقد خصصناه لجهوده على الصعيد السياسي من خلال دوره في المجال التنظيمي المتمثل في مساهمته في تأسيس العديد من الهيئات الرسمية لمساندة القضية الجزائرية ومواقفه المتعددة إزاء القضايا السياسية في العالم العربي والإسلامي.

خامسا: منهج المعالجة:

تحكمت طبيعة الموضوع في منهجية المعالجة، فكان المنهج التاريخي هو سيد المعالجة ولكن وفق مقاربات متنوعة حيث المقاربة الوصفية أولا من خلال وصف البيئة التي أثرت في تكوين وصقل شخصيته والمقاربة التحليلية ثانيا من خلال تتبع مسار الرجل وتحليلنا لمواقفه المتعددة من خلال القضايا التي كان له دور وحضور فيها كثورة اليمن 1948م، وجهوده في مصر للتعريف بالقضية الجزائرية وكسب التأييد والدعم للثورة التحريرية الجزائرية.

سادسا: أهم المصادر والمراجع:

من أهم المصادر والمراجع التي اعتمدنا عليها في هذا البحث هي:

الفضيل الورثيلاني في كتابه الجزائر الثائرة الذي أفادنا بالكثير حول حياة ومواقف وأعمال الورثيلاني من خلال الهيئات التي أسسها في مصر وأهم الشخصيات التي احتك بها في العالم أجمع، وكتاب آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي بأجزائه التي عرفتنا عن العلاقات التي ربطها الورثيلاني وساهمت في كسب التأييد للقضية الجزائرية وقضايا المغرب العربي ككل، وكتاب محمود عبد الحليم بعنوان الإخوان المسلمون أحداث صنعت التاريخ الذي أفادنا كثيرا حول علاقة الورثيلاني بالإخوان المسلمون وكثير من محطاته النضالية، وكتاب أحمد بن محمد الشامي رياح التغيير في اليمن الذي أفادنا كثيرا حول مجريات أحداث اليمن، وما تعرض له الورثيلاني حينها، وكتاب عبد الله العقيل بعنوان "من أعلام الدعوة والحركة الإسلامية المعاصرة" الذي أفادنا في معرفة أعمال ونضال الورثيلاني لأجل القضية الجزائرية وقضايا المغرب العربي ككل، وكتاب توفيق محمد الشاوي بعنوان "مذكرات نصف قرن من العمل الإسلامي" الذي تحدث عن دور الورثيلاني في التعريف بالقضية الجزائرية بالمشرق العربي وداخل الهيئات الرسمية كجامعة الدول العربية وربطه الدائم لقضية الجزائر بالقضايا العربية الأخرى.

أما عن المراجع في هذا الموضوع فهي كثيرة نذكر منها:

محمد الصالح الصديق في كتابه "أعلام من المغرب العربي" الذي عرفنا عن أثر البيئة الطبيعية في تكوين وصقل شخصية الورثيلاني، ويحيى بوعزيز في كتابه "أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة" والذي أفادنا كثيرا في الإلهام بكل جوانب حياته الشخصية سواءا داخل الوطن أو خارجه، كما اعتمدنا أيضا على عمر بن قينة في كتابه "أعمال وأعلام في الفكر والثقافة والأدب"، كما اعتمدنا أيضا على مجموعة من الدراسات الأكاديمية السابقة في

الموضوع ومنها: خولة خلدون، وسعيدة أسعيدي في مذكرة ماستر بعنوان: " جهود الفضيل الورثيلاني للتعريف بالمسألة الجزائرية 1900-1959م" وغيرها من المذكرات الأخرى والمجلات...الخ.

سابعا: الصعوبات:

من المعروف دوما أن أي بحث في سبيل العلم وتقصي الحقائق ستعترضه بعض الصعوبات، ومن الصعوبات التي واجهتنا:

- تفشي وباء كورونا وانعكاساته على نشاط المكتبات.

- تنوع وغزارة المعلومات حول شخصية الورثيلاني مما يتطلب تركيز وتدقيق وفرز جيد للمعلومات.

- إضافة إلى ذلك تكرار المعلومة في كل المراجع، وعدم وجود الإيضاحات الجديدة.

الفصل الاول

حياة الفضيل الورثيلاني 1900-1959م

يتناول هذا الفصل حياة الفضيل الورثيلاني بدءا بمولده عام 1900م، ونشأته في بيئة بني ورثيلان، وانتقالا إلى تعليمه وأهم الرحلات التي قام بها وأخيرا وفاته عام 1959م وأهم آثاره الفكرية وتناولنا شهادات حول هاته الشخصية التي تحدث عنها الكثيرون.

المبحث الأول: مولده ونشأته:

– الشيخ الفضيل الورثيلاني هو أحد أبرز علماء الجزائر الأجلاء، الذين عرفتهم في أحلك وأصعب فتراتها ومحنها–فترة الاستعمار الفرنسي– الذي احتل الأرض وسعى لغزو الفكر والعقل، وطمس كل معالم الهوية والشخصية الوطنية، وما الفضيل الورثيلاني إلا أحد هؤلاء الذين حاولوا جاهدين ترسيخ هوية وأصالة هذا الشعب، من خلال مجهوداته الإصلاحية بوطنه (الجزائر) وخارجها، لإسماع صوته إلى الأقطار الأخرى.

– ولد حسنين الفضيل بن محمد السعيد بن فضيل المعروف ب (الشيخ الفضيل الورثيلاني) في 06 فبراير عام 1900م بقرية (آنو) بلدية بني ورثيلان(*) بمنطقة القبائل الصغرى، دائرة بوقاعة ولاية سطيف، ويقطن هذه المنطقة سكان ينطقون بالقبائلية، أقل ما يوصفون أنهم "أمة وسطا" ومنهم من يعود أصله إلى الشرفاء من آل بيت رسول الله.[1]

ينحدر الورثيلاني من أسرة عريقة ينتمي حسب مؤلفه " الجزائر الثائرة "(*) إلى سلالة الاشراف، ولقبه العائلي "حسنسن"، وقد نشأ و ترعرع بمسقط رأسه و حفظ القرآن الكريم، و زاول دراسته الابتدائية به، و تلقى فيه مبادئ العلوم على يد مشايخ القرية، نذكر منهم على سبيل المثال العلامة الفقيه المعروف الشيخ السعيد البهلولي(*)، و الشيخ محمد الصغير، ومحمد و

(*)– آنو بلدية بني ورثيلان، الواقعة جغرافيا بأعالي جبال البيبان الشامخة، أما إداريا فهي تابعة لولاية سطيف، وبني ورثيلان منطقة جبلية ذات مناظر طبيعية ساحرة يزينها جبل آزرو، آقوف، ثيلة.... وتشق أراضيها العديد من الوديان، التي تصب كلها في نهر الصومام العريق، ويقطن هذه المنطقة سكان ينطقون بالقبائلية....إلخ، ينظر، آسيا تميم،" الشخصيات الجزائرية 100 شخصية التاريخية والفكرية"، ط1، دار المسك(الجزائر)، ص114.

[1] الفضيل الورثيلاني،" الجزائر الثائرة "، ط4، دار الهدى للنشر و التوزيع، عين مليلة، الجزائر، ص36.

عمّر... و غيرهم، و هو تعلم أورثه الحفاظ على تعاليم الدين و التشبث بأهدابه، فنشأ على احترام كريم المثل العليا([1]).

– إن المتتبع لمسيرة هذا الرجل الفذ الذي أفنى عمره كله لأجل خدمة العلم و الدعوة و الكفاح المستمر من أجل وطنه الصغير الجزائر ووطنه الكبير الوطن العربي والأكبر العالم الإسلامي ككل، يرى أنه عصامي في كفاحه السياسي إزاء وطنه الجزائر، عظامي في دعوته الإصلاحية للجزائر والإسلام ككل، لأن له أصول ضاربة في أعماق التاريخ من خلال أجداده المعروفين بعنايتهم وحفظهم للقرآن الكريم، حيث نجد الشيخ محمد الصالح الورثيلاني الذي عاش في القرن11هـ(17م)، والذي كان هو الآخر شغوفا بالعلم والاستزادة منه منذ صغره وهو ابن عم جده من أعراش بني ورثيلان[1]

و ليس ببعيد كذلك جده الشيخ الحسين الورثيلاني وهو نجل بدوره الولي علي البكاي البجائي، والذي أصله من مدينة تافيلالت بالمغرب الأقصى.

جده الشيخ الحسين الورثيلاني من مواليد عام 1125هـ (1713م) بقرية آنو بجوار قرية بني ورثيلان، قام هو كذلك بعدة رحلات داخل الجزائر وخارجها، لطلب العلم والمعرفة، تخرج على يده العديد من العلماء من أمثال: الشيخ محمد بن الفقيه، ويحيى بن حمزة، ومحمد بن عبد الله، وابن عمه الشيخ محمد الصالح الورثيلاني...الخ.

(*) الجزائر الثائرة، هو عبارة عن مجلد ضخم يحتوي أهم أفكار وآراء ومواقف الورثيلاني، وهو عبارة عن مجموعة من الوثائق التاريخية الهامة، قامت جمعية عباد الرحمان الإسلامية اللبنانية سنة 1956م بجمعه وترتيبه وطبعه وأعيد طبعه سنة 1963م، وطبع سنة 1991م والطبعة الرابعة سنة 2007م. ينظر، الفضيل الورثيلاني، نفس المصدر السابق، ص6.

(*)–السعيد البهلولي، ولد في 1861/01/31م، ينحدر من أسرة البهاليل من أعراش بني ورثيلان، حفظ القرآن الكريم والمتون والمصنفات...الخ. ينظر، يحي بوعزيز، "أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة"، ج1، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت (لبنان)، 1995م، ص162.

(1)– سليمة كبير، " الشيخ الفضيل الورثيلاني الرحالة من أجل الجزائر"، د.ج، المكتبة الخضراء للطباعة والنشر والتوزيع، الشراقة (الجزائر)، ص9.

([2])– يحي بوعزيز، نفس المرجع السابق، ص44.

وقد كتب وألف في عدد من الأغراض نذكر منها: الفقه والحديث والتصوف والبلاغة والنحو...الخ، وأشهرها رحلته التي سماها: "نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار" المعروفة ب" الرحلة الورثيلانية(*)"، والتي حققها العالم الجزائري محمد بن أبي شنب(*) وقام بنشرها عام 1908م لأول مرة.

وتوفي الشيخ الحسين الورثيلاني عام1193 أو 1194هـ (1779-1780م) بمسقط رأسه(آنو) ودفن بها[1] ومنه فعراقة وأصالة هذه العائلة جعلت من الحفيد ابن شغوف بالعلم والقرآن الكريم منذ صغره، وجعلت منه رجلا مصلحا بمعنى الكلمة منذ أن فتح عينيه على الحياة، وهناك كذلك من المؤرخين من يرى أن البيئة الطبيعية قد أثرت في تكوين شخصية الفضيل الورثيلاني، وجعلت منه شخصية قوية فكريا عقائديا وسياسيا، ويقال في المثل المعروف أن:"الإنسان ابن بيئته"، وهو ما تجسد نوعا ما في شخصيته الفضيل الورثيلاني، حيث يقول محمد الصالح الصديق في هذا الشأن: "إذا كانت البيئة تؤثر في تكوين الأجسام، وصيغ الألوان، وتوفير الصحة، وغرس الطباع، وهو المقرر المشاهد فإنها تؤثر أيضا في العقيدة ايجابيا وسلبا، معنى هذا بإيجاز أن أهل البيئة البدوية أقرب إلى الإيمان من أهل البيئة الحضرية، فسكان البادية لا تتفتح أعينهم صباح مساء إلا على الآيات الكونية الناطقة بالقدرة

(*)- الرحلة الورثيلانية، هي الرحلة التي قام بها جدّ الفضيل الورثيلاني الحسين بن محمد السعيد الورثيلاني المولود في بني ورثيلان، والذي نسبت إليه وإلى منطقته مسقط رأسه، وهذا العمل الضخم المسمى ب" نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار"، المعروف ب"الرحلة الورثيلانية" جاب الورثيلاني أقطار متعددة ومنها الحجاز، وصف فيها كل ما صادفه أثناء حجه ومنه فالرحلة الورثيلانية تعتبر موسوعة أخبار عن جزء كبير من العالم الإسلامي. ينظر، أبو القاسم سعد الله، "تاريخ الجزائر الثقافي (1500-1830م)"، ج2، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت (لبنان)، 1998م، ص ص 394، 398.

(*)- محمد بن أبي شنب، المولود سنة1869م في المدية، تعلم فيها أوليات العلوم، بما فيها القرآن الكريم، وقد كانت عائلته من فئة الكراغلة، يمتد إنتاجه إلى أكثر من ثلاثين سنة، وقام بنشر التراث العربي كالرحلة الورثيلانية، والبستاني لإبن مريم، وعنوان الدراية للغبريني...الخ. ينظر، أبو القاسم سعد الله، "أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر"، ج4، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت (لبنان)، 1996م، ص ص156، 158.

(1)- يحيى بوعزيز، نفس المرجع السابق، ص ص46، 47.

الإلهية، الموحية للعقل، المفجرة للشعور والإحساس، من جبال شامخة وأنهار جارية وينابيع متدفقة، وشمس ساطعة، وقمر منير..[1].

– ويضيف محمد الصالح الصديق كذلك: " كل هذا يبعث على التأمل والتفكر وينزع بالقلب إلى الإيمان بالله تعالى"، ويقارن الدكتور محمد الصالح الصديق بين بيئة الفضيل الورثيلاني التي عاش بها وبين أهل العواصم والمدن ويضيف في هذا الشأن قائلا: "أما أهل العواصم والمدن فهم بمعزل–تقريبا–عن هذه الآيات، ومن هنا فهم في غفلة عن التفكير فيها والاستدلال، وكل ما يحيط بهم صنعه الإنسان بيديه فلا يستشعرون في رؤيته عظمة الخالق سبحانه وتعالى، كما يستشعرها أهل البادية ليل نهار!!

– ويضيف ردًا على من يرى أن أهل المدن والقرى على سواء في رؤية المناظر الطبيعية الناطقة بالقدرة الإلهية لأن القمر الذي يراه أهل القرى هو نفسه من يراه أهل المدن قائلا: "وقد يقول قائلا أليست شمس البوادي والقرى هي شمس العواصم والمدن؟

أجل إن الأمر كذلك ولكن شتان بين إجتلاء هذه الأشياء وهي غارقة في ضوضاء العواصم، وجليتها وصخبها ومبانيها الشامخة، وشوارعها المزدحمة، وإجتلائها في مطالعها ومجاليها واضحة سافرة لا يخفيها شيء، ولا يحجبها حاجب!!"[2]. ومنه نرى أن البيئة البدوية التي عاش وترعرع فيها منذ صباه لها دور كبير في تكوين وصقل شخصيته، ويؤكد ذلك الرحالة محمد بن أحمد شمس الدين(947م–990م) بقوله "تأثير البقاع في الطباع" في كتابه الشهير"أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم".

---

[1] محمد الصالح الصديق، " أعلام من المغرب العربي "، ج2، ط2، طبع بالمؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، وحدة الرغاية (الجزائر)، 2009، ص105.

(1)– محمد الصالح الصديق، نفس المرجع السابق، ص106.

(2)– الطاهر سبقاق، " المجندون الجزائريون في الجيش الفرنسي بالشام(1918م–1946م) بين الالتزامات العسكرية والانتماءات الحضارية، رسالة دكتوراء، مخطوطة، جامعة الجزائر2، الجزائر2017–2018، ص100

المبحث الثاني: تعليمه ورحلاته:

اجتمع الترحال والتعلم في حياة الفضيل الورثيلاني فهو ينتقل ليتعلم والعلم هو مركبة يصل بها إلى آفاق بعيدة وكل رحلة شحنته بالعلم وبرمجته لرحلات أخرى، فتعليمه الأول كان بمسقط رأسه كما أسلفنا سابقا، حيث زاول دراسته الابتدائية به، وتلقى فيه مبادئ العلوم على يد مشايخه وبحكم عائلته المحافظة والملتزمة فأول منهل للعلم والتربية التي تلقاها كانت من عائلته حيث تربى منذ طفولته في أحضان أسرة علمته مبادئ التربية الإسلامية وأورثته الحفاظ على تعاليم الدين الاسلامي الحنيف والتشبث بأهدابه[1]، لقد حفظ القرآن الكريم وعمره لا يتجاوز عشر سنوات[2].

3/- تجنيده:

وفي حدود عام 1920م أرغم الفضيل الورثيلاني على أداء الخدمة العسكرية الإجبارية المفروضة على الجزائريين في إطار ما يسمى بقانون التجنيد الإجباري 1912م(*). مما اضطره إلى مقاطعة مشواره الدراسي والتوجه للعمل العسكري، حيث أن الخدمة العسكرية مكنت الفضيل من الإطلاع أكثر على التمييز العنصري بين المجندين المسلمين والأوروبيين، وما

---

1 الفضيل الورثيلاني، نفس المصدر السابق، ص36.

2سلمية كبير، نفس المرجع السابق، ص7

(*)- قانون التجنيد الإجباري 1912م، بدأت المناقشات حول صلاحية فرضه على الجزائريين منذ عام 1906م، وتطورت في السنة التالية بسبب احتدام التنافس الاستعماري وسباق التسلح بين فرنسا وألمانيا، وصدر المرسوم التمهيدي للتجنيد الإجباري في 17 يوليو 1908م، ونص على إحصاء كافة الشباب المسلم البالغ 18 سنة فما فوق، لكن تأخر صدور قانون التجنيد نفسه لاعتراض كل من المسلمين والمستوطنين عليه لأسباب متعارضة، حيث اعتبره المسلمين متناقضا للشريعة الإسلامية، ومتعارضا مع حرمانهم الكامل من الحقوق السياسية والاجتماعية، فيما اعتبره المستوطنون مقدمة لحصول المسلمين على الحقوق السياسية وحق المواطنة.

وقد صدر هذا القانون يوم 03 فبراير 1912م عن الجمعية الوطنية الفرنسية، ونصت على مايلي: - تجنيد نسبة من الشباب الجزائري ممن بلغوا سن (18) بالقرعة.

- مدة التجنيد ثلاث سنوات (مقابل سنتي للفرنسي والمتجنس).

وقد أثار هذا القانون سخطا عظيما في كافة أنحاء البلاد، وتصدى له الجزائريون وفي مقدمتهم العلماء والمثقفون. ينظر، بشير بلاح، " تاريخ الجزائر المعاصر (1830-1989م)، ج1، ط1، دار المعرفة، الجزائر، 2007م، ص ص237 ،238

يعانيه الشعب الجزائري المسلم من اضطهاد جراء المعاملات القاسية والعنصرية من طرف الاستعمار الغاشم.

" أما فيما يخص مكان تجنيده فيوجد هناك اختلاف فالبعض قال أنه أرسل إلى إقليم الريف في شمال مراكش ضمن وحدات الجيش الفرنسي المكلفة بمهمة إخماد ثورة **الأمير محمد بن عبد الكريم الخطابي** (*) بالاشتراك مع القوات الفرنسية، أما البعض الآخر فيقول بأنه أمضى فترة تجنيده في الشرق الجزائري بنواحي سوق أهراس أو باتنة، وأنه زار مسقط رأسه ذات مرة بالزي العسكري وكان محل إشادة من الضباط العسكريين المشرفين على دفعته من المجندين الجزائريين الذين شهدوا له بحسن السلوك والشجاعة والانضباط".[1]

و قد اكتسب خبرة في الميدان العسكري، فكانت هذه التجربة دافعا له على الجد والاجتهاد من أجل إزاحة هذه القوة المسلطة على الجزائريين خاصة وعلى الشعوب العربية والإسلامية والمغلوب على أمرها بصفة عامة، وبعد انقضاء مدة الخدمة العسكرية عاد الفضيل إلى مسقط رأسه ليواصل تعلمه حتى عام 1930م[2].

اختلفت أراء المؤلفين والمؤرخين حول سنة التحاقه بقسنطينة للتعلم فمنهم من يقول أنها ابتداءا من سنة 1928م ومنهم من يقول أنها من سنة 1930م، انتقل الفضيل إلى قسنطينة بهدف طلب العلم والاستزادة منه، وهناك التقى بالعلامة عبد الحميد بن باديس حيث انتظم في دروس الإمام مجتهدا ومثابرا، فكان في تلك المرحلة كما وصفه بعض زملائه: " يتحلى بروح قوية، ويمتاز بحيوية دافقة، ونشاط ذاتي، وحماس متزايد، يسعى دوما لربط صلاته بطلاب

1 خولة خلدون، سعيدة أسعيدي، " جهود الفضيل الورثيلاني للتعريف بالمسألة الجزائرية 1900–1959م، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر أكاديمي في التاريخ، تخصص: التاريخ الحديث والمعاصر، إشراف: عمر بوضربة، جامعة محمد بوضياف المسيلة، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، 2016–2017، ص10.

2 يحي بوعزيز، نفس المرجع السابق، ص 176.

(*) الأمير عبد الكريم الخطابي (1883–1962م)، قاض شرعي، ومدرس، وصحفي، ومجاهد، وأمير، ورئيس دولة، ولد في بلدة أجدير في الريف المغربي بين مليلة وتطوان سنة 1883م، وكان أبوه أمير على البربر في الريف المغربي، وجاهد مع أبوه في ح ع 1 مع الدولة العثمانية وذلك سنة1915م. ينظر، محمد بن موسى الشريف، "عظماء منسيون في التاريخ الحديث"، ج1، د.ط، دار ابن كثير، سوريا، ص ص66، 67.

الشيخ –بن باديس– الوافدين من مختلف مناطق الجزائر...يريد أن يخرجهم من حالة الخمول التي جاءوا عليها في أقصر مدة، وأن يبعث فيهم الحيوية والنشاط والثقة بالنفس قبل أن يتاح لهم ذلك عن طريق دروس شيخهم"[1].

– فكانت قسنطينة هي أول رحلة له في سبيل طلب العلم والمعرفة، لما تشهده من حركة علمية كبيرة، حيث كانت تزخر بمراكز علمية لها شأن كبير ومنها: الجامع الأخضر، الذي كان يدرس فيه الشيخ عبد الحميد بن باديس(*) والذي التحق به الفضيل الورثيلاني.

– لقد كان الشيخ عبد الحميد بن باديس يصطحبه معه في رحلاته وجولاته داخل البلاد، كما حصل عام 1934م إلى: ميلة، التلاغمة، برج بوعريريج، وسطيف وبوقاعة وباتنة...الخ[2].

وقد جاور البحر سنة 1936م كما يذكر الشيخ البشير الإبراهيمي، بموافقة منه ومن الأستاذ الرئيس، انتقال الفضيل إلى باريس لأغراض ومهام كلف بأدائها[3] وعندما توسع نشاطه الإصلاحي ظاهريا السياسي باطنيا، شعرت السلطات الفرنسية بالخطر الذي يشكله الورثيلاني عليها في عقر دارها، حيث أنه أحدث ثلاثين مركزا وناديا للدعوة هناك وعمل على توثيق روابط الأخوة والمحبة والتعاون بين أبناء الجاليات الإسلامية، حاولت القبض عليه حيث كان موضع ترصد و اهتمام لديها،خصوصا و نذر الحرب العالمية الثانية تلوح في الأفق فبات مستهدفا للقبض عليه وسجنه فعمل على التخلص والنجاة مما يدبر له، ومن بين الذين ساعدوه

---

[1]– سعيد بورنان، " شخصيات بارزة في كفاح الجزائر(1830–1962)"، ج2، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، تيزي وزو، ص ص65، 66.

(*)– عبد الحميد بن باديس، ولد عام (1308هـ–1359هـ/1889م–1940م) في مدينة قسنطينة بشرق الجزائر، ينتمي إلى سلالة ترتقي في أصولها إلى المعز بن باديس الصنهاجي (407هـ–453هـ/1015م–1071م) آخر سلالة دولة بني زير في القيروان، حفظ القرآن الكريم على يد الشيخ محمد المداسي، وأتم حفظه في سن الثالثة عشر من عمره، قام بعدة هجرات ورحلات داخل الوطن وخارجه وهو رئيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وهو العلامة ورائد النهضة في الجزائر. ينظر، محمد بهى الدين سالم: " بن باديس فارس الإصلاح والتنوير"، ط1، دار الشروق (مصر)، 1999م، ص ص31، 32

[2]– يحيى بوعزيز: نفس المرجع السابق، ص177.

3 أحمد طالب الإبراهيمي، "أثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي (1940–1952م)، ج2، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت(لبنان)، 1997م، ص330.

أو أنقذوه هو أمير البيان العربي شكيب أرسلان(*) مع نخبة من مختلف الأقطار العربية الإسلامية المتواجدين آنذاك بالعاصمة الفرنسية خلال فترة مهمته بفرنسا[1].

فكانت وجهته سنة 1938م إلى القاهرة ليستزيد من العلم والتجارب، حيث أثر الانتساب إلى الأزهر الشريف(*)، الذي كان مركز إشعاع علمي بها وتحصل على الشهادة العالمية في كلية أصول الدين والشريعة الإسلامية، كانت وجهته هذه إلى مصر قد جمعت بين الاستزادة بالعلم والتعريف بالقضية الجزائرية والعمل الإصلاحي والسياسي فكانت مصر انطلاقته في تأسيس بعض الهيئات والجمعيات التي سنتطرق إليها لاحقا.[2]

– لقد كان الفضيل الورثيلاني على اتصال شبه دائم بالجمعية وعلى قدر ما تسمح به ظروف الحرب، وهذا إن كان يدل على شيء فهو يدل على انه الابن البار بمن ربته واحتضنته وجعلت منه شخصية تدافع عن وطنها داخلا وخارجا.

وحسب تصريح للسيد رشيد رفيق سنو اللبناني تلميذ ورفيق الفضيل الورثيلاني أن هذا الأخير بعد صدور حكم العفو عنه في قضية اليمن، عاد لنشاطه السياسي والفكري والثقافي، وقام برحلتين طويلتين إحداهما إلى بلدان أوروبا، والأخرى إلى بلدان آسيا[3]، وقد كانت رحلتيه على النحو التالي:

أ)– **رحلة الورثيلاني إلى أوروبا:** لقد قام الورثيلاني بهذه الرحلة عام 1950م واستهلها من سوريا إلى تركيا فاليونان، فإيطاليا، فسويسرا، فاللكسمبورغ فبلجيكا، فهولندا، فإيرلندا، فإسبانيا،

---

[1] عمر بن قينة، أعلام وأعمال في الفكر والثقافة والأدب"، منشورات اتحاد الكتاب العرب، د ط، دمشق، 2002م، ص45.

(*)– أمين البيان العربي شكيب أرسلان، ولد في الشويفات بلبنان سنة 1869م، من أسرة تنوخية الأصل، والتنوخيون هم الذين كانوا ملوك الحيرة، وتنقلب في الوظائف والمناصب، سكن دمشق في الحرب العالمية الأولى، ثم برلين، ثم انتقل إلى جنيف ليعيش في سويسرا خمس وعشرين سنة يدافع فيها عن قضايا الإسلام والمسلمين، ثم عاد إلى بيروت فتوفي بها ودفن في مسقط رأسه سنة1946م، يقول عنه علي الطنطاوي أنه أعظم شخصية عربية، وكان لسان الإسلام. ينظر، محمد بن موسى شريف، عظماء منسيون في التاريخ الحديث، ج2، دار ابن كثير، سوريا، ص93.

[2] عمر بن قينة، نفس المرجع السابق،ص45.

[3] - يحيى بوعزيز، نفس المرجع السابق، ص ص192، 200.

فالبرتغال، وفي آخر رحلته اتجه إلى المغرب الأقصى، فطنجة وهكذا يكون قد زار اثني عشر بلدا، وفي العودة مر عليها كلها كذلك، وكان يقيم في كل منها حسب ما تقتضيه مدة عمله، والتقى خلالها بالعديد من الشخصيات وزعماء وطنيين وقام بإتصالات واسعة في كل هذه البلدان التي زارها لخدمة القضية الجزائرية وبلدان المغرب العربي والعالم الإسلامي عامة، واستغرقت هذه الرحلة أكثر من سبعة شهور ثم عاد إلى لبنان[1].

ب)- رحلة الورثيلاني إلى بلدان الشرق الآسيوي:

وبعد أن أخذ الورثيلاني قسطا من الراحة بعد هذه الرحلة الطويلة، شد الرحال إلى بلدان الشرق الأقصى في نفس العمل، داعية و مرشدا فقد استهل رحلته هذه إلى الكويت، فإيران، فالسعودية، فالبحرين، فباكستان، فالهند، فباكستان الشرقية، فبورما، فسيام، فالملايو، فسنغافورة، فأندونيسيا، وبطبيعة الحال كانت له زيارة لليمن الذي قضى فيها وعايش أحداثا كثيرة وسوريا كذلك استهل بها رحلته إلى أوروبا ولبنان وبلدان المشرق العربي أغلبهم، لقد حضر خلال هذه الرحلة ثلاث مؤتمرات إسلامية عالمية[2].

[1] – المرجع نفسه، ص199.

[2] يحيى بوعزيز، نفس المرجع السابق، ص200.

المبحث الثالث: وفـاته وأثـاره:

بعد مسيرة طويلة من النضال والعمل والنشاط انتقل (الورثيلاني) إلى الرفيق الأعلى في 12مارس1959م بمستشفى أنقرة بالعاصمة التركية، وكانت وصيته أن يدفن في أرض الجزائر، إلا أن الوضع في الجزائر حال دون ذلك، حيث يشير المؤلف عبد الله العقيل في كتابه " من أعلام الدعوة والحركة الإسلامية المعاصرة " أن " الطغمة العلمانية التي قفزت إلى السلطة بعد التحرير رفضت ذلك وبقي في الباخرة دون أن تجرؤ دولة عربية أن يدفن جثمانه في مقابرها، فقبلت تركيا ودفن فيها[1].

الفضيل الورثيلاني الذي أفنى عمره كله من أجل وطنه الجزائر خاصة والعربي والإسلامي عامة، لم يبال يوما بصحته ونفسه واثر عمله عليها، حيث شهد بذلك البعيد قبل القريب، حيث صرح بذلك المؤلف عمر بن قينة في أحد مؤلفاته بهذا قائلا: "فأجهد نفسه غير عابئ بأكثر من داء كان يستوطن جسمه، مؤجلا العلاج، معجلا بالمبادرة في ميدان العمل والنشاط، حتى تمكن منه الداء فصرعه في إحدى مستشفيات(تركيا).

حيث كانت وفاته... وبعد الاستقلال (1962م) نقل رفاته إلى أرض الوطن.

ليعاد دفنه بمسقط رأسه في 12مارس1987م، ويضيف عمر بن قينة وأغلب المؤرخين أو المؤلفين أن الفضيل الورثيلاني قد طاله الجحود ولم يستوف حقه، لمثل هذه الشخصية الفذة التي عملت لأجل الإنسانية عامة والقطر العربي والإسلامي خاصة وعلى أكثر من صعيد، فكانت لها مواقف مشهودة ومتعددة لقضايا عادلة بالعالم ككل، فأبى الفضيل إلا أن يجند قلمه وكل ما يملك لأجل التعبير عن موقفه الحازم دوما، " الورثيلاني بقي حيا في الوجدان الوطني والإسلامي، بجهوده الميدانية الشاهدة، وبأعماله المادية الناطقة بحبه لوطنه، وأمته الإسلامية الكبرى، ومن أثاره حشود من المقالات المنشورة في الصحف والدوريات الجزائرية، والعربية

[1] - عبد الله العقيل، تق، مصطفى مشهور وآخرون، نفس المصدر السابق، ص ص703،704.

والإسلامية عموما، مما ضم جانبا منه كتابه "الجزائر الثائرة" وهو مجلد ضخم حوى كثيرا من عناصر التعبير عن معاناة الجزائر اتجاه الاحتلال الفرنسي، ومعاناة العرب تخلفهم و تطاحنهم كمعاناة المسلمين تشرذمهم و تشتتهم"[1].

الفضيل الورثيلاني شخصية فريدة من نوعها، عملت لأجل وطنها الصغير الجزائر أولا والأمة الإسلامية الأكبر قاطبة، والإنسانية جمعاء، لم تستثن هذه الشخصية حدثا ولا واقعة ألمت بأمتها إلا وحاولت بكل ما تملك للتغيير والحل الايجابي والأمثل والبناء لأجل الوحدة والبناء والصلاح، حتى أنها تعرضت للمضايقات والاتهامات من كثرة انشغال فكرها بهموم أمتها، رحمه الله و طيب ثراه.

[1]عمر بن قينة، نفس المرجع السابق، ص46.

المبحث الرابع: شهادات حول شخصية الفضيل الورثيلاني:

– للفضيل الورثيلاني جمهور واسع من الكتاب والمؤلفين الذين كتبوا عن هذه الشخصية الوطنية منهم من سمع عنه أو نقل عن من سبقوه ومنهم من عايشه وتتبع خطاه ومسار حياته خطوة بخطوة، حيث سوف نضمن قولنا هذا بمجموعة من الشهادات حول هذه الشخصية، ومنه نجد الشيخ البشير الإبراهيمي الذي كتب عنه الكثير وقد اخترنا احدى شهاداته على النحو التالي:

1)– "والأستاذ الورثيلاني ابن بار من أبناء جمعية العلماء، وغصن من دوحتها الفينانة، فتح عينيه على شعاعها، وسار في الحياة من أول خطوة على هداها، وقضى عنفوان شبابه في أحضانها، وتخرج في العلم والعمل على قادتها، وبزّ الجياد القرح في ميادينها، ورمى الغايات البعيدة بتسديدها، وراض عقله على التفكير الصائب، ولسانه على الحديث الصادق، في الاصلاح الديني الذي هو أساس مبادئها، فجذبه استعداده القوى منه إلى العمل في ميدان الإصلاح الاجتماعي، وجرته غيرته المحتدمة على وطنه إلى العمل للإصلاح السياسي، وهذه أنواع من الإصلاح متشابكة الأصول، متشابهة الفروع، تفصل بينها فواصل اعتبارية دقيقة، ولكن الأجرياء المتقدمين يرونها متلازمة، متوقفا بعضها على بعضها، فلا يتم جزء منها إلا بتمام جميعها، ومن هؤلاء ولدنا الفضيل، فلما ضاق عنه وطنه الأصغر، طار إلى وطنه الاكبر.[1]

2)– وهذه شهادة الوائل محمد الصغير سكرتير جمعية التهذيب في فرنسا يدلي بها حول المجهودات الجبارة التي قام بها الورثيلاني في البلدان الأوروبية عامة وفرنسا خاصة، وقد كانت شهادته على النحو الآتي:

[1] أحمد طالب الإبراهيمي، " آثار الإمام البشير الإبراهيمي"، ج3، عيون البصائر، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت (لبنان)، 1997م ، ص592.

" ولقد كان للزعيم الورثيلاني أعظم جهاد في هذه البلاد الأوروبية وفي هذه العاصمة الفرنسية بالذات، حتى أنك لتشعر في أيامه وأنت بباريس، كأنك في إحدى كبار عواصم الشرق من حيث الجو الإسلامي والعربي، وكان لي شرف مصاحبته في تلك الفترة الكريمة، وكان لي عمل متواضع معه، ففي باريس وحدها فتح الورثيلاني خمسة عشر ناديا، يتردد على كل واحد منها، آلاف من أبناء المسلمين، يتلقون الدروس، ويسمعون المحاضرات، ويؤدون فروض العبادة، ويحيون تعاليم الإسلام وفضائل العروبة، ويكافحون الاستعمار وكانت هذه الأندية مثابة لكل شرقي ينزل في هذه البلاد الأوروبية، وأني أذكر تلك الاجتماعات العمومية التي كان يخطب فيها على الآلاف المؤلفة من المسلمين، جمع كبير من رجال الإسلام، على اختلاف أوطانهم، واذكر بالضبط ليلة تكلم فيها ثمانية عشر خطيبا، كل واحد منهم على قطر خاص، فمن مصري إلى عراقي إلى جزائري إلى هندي إلى ألباني، وإني في هذه الكلمة العاجلة، أن أسرد ولو مجرد رؤوس أقلام، لجهاد الورثيلاني، وإنما عاطفة السرور، دفعتني إلى مناجاة روحه الطاهرة بهذه الكلمة المتواضعة، وأن أتوجه إليه في مقره باسطنبول، بتحياتي و تحيات ثلاثين مليونا من أبناء المغرب العربي، راجيا باسمهم جميعا وملحا في الرجاء، أن يعيد النظر في أمر إقامته باسطنبول فإن بلاد المغرب العربي أحوج ما تكون إلى شخصيته الكريمة في مثل هذه الظروف الدقيقة، التي يتقرر فيها مصير الأجيال من أبنائها الأبرار، وإلى أن يتقرر لديه هذا، وتتشرف البلاد بعودته نرجو له أطيب الإقامة في اسطنبول، عاصمة السلاطين العظام[1].

3)- شهادة مصطفى الشعكة في الورثيلاني التي بعث بها إلى ابن الفضيل وقد كانت على النحو الأتي:

" إن صلتي بالمرحوم والدكم لم تكن مجرد صداقة ولكنها أخوة موصلة الأسباب لاثني عشر سنة في السراء والضراء في مصر، واليمن، ولبنان، فكان إذ أعز اللقاء في مصر، سعيت إليه في لبنان، ولقد خضنا سويا مواقف حاسمة لا أقول معارك حاسمة في تاريخ هاته الأمة رغم

[1] يحيى بوعزيز، نفس المرجع السابق، ص ص182،183.

حداثة سني، آنذاك. فقد كان رحمه الله بمثابة الأخ الكبير لي، عشنا معا الأيام الحاسمة في تاريخ اليمن في صنعاء، وقضينا مدة شهرين على باخرة صغيرة تذرع بنا البحر الأبيض، والبحر الأحمر، وعملنا من أجل استقلال الجزائر، وقد كان أبوك بعمله وفضله، وفصاحته، ومنطقته، وصبره، بمثابة كتيبة كاملة في معركة التحرير، ولم نفترق إلى حين هاجر مضطرا إلى تركيا حيث وافته المنية، وهو يقرأ كتاب الله بصوت جهير"[1].

4)- شهادة الأستاذ الراحل بعزيز بن عمر:

" عرفت الأخ الورثيلاني أيام الطلب بقسنطينة، وهو شاب يتقد ذكاء، ويفيض نبلا وإحساسا، يبتسم للحياة فلا تراه إلا متفائلا بالمستقبل، ويتطلع نحو الأفاق البعيدة، فتبدو أمامه العقبات الكبيرة، ولكنه ليس الذي يرهب العقبات فيجبن عن اقتحامها بل أن له من عزمه ما يذهب كل عقبة، ومن نفس الوثابة وما يتغلب به على كل ما تقيمه الحياة المتجهمة في طريق العاملين المخلصين"[2].

5)- أما المؤلف عبد الله العقيل في كتابه " من أعلام الدعوة والحركة الإسلامية المعاصرة" يقول في هاته الشخصية ما يلي:

" ولست أدري من أي الجوانب أبدأ الحديث عن هذا الرجل العظيم، والسياسي المحنك والبطل الشجاع، والمغامر الجسور، والمجاهد الصابر، الذي حار الناس في مواهبه المتعددة وعجزوا عن مجاراته في انطلاقه لتحقيق الأهداف التي يؤمن بها، والمبادئ التي يدين لها، وفي تحرير الشعوب الإسلامية بكاملها ربقة الاستعمار الأجنبي أيا كان لونه وجنسه، وإحلال الإسلام محله، كنظام شامل للحياة كلها عقيدة وعبادة وخلقا وشريعة ومنهج الحياة.

ومن هنا كان بطلنا الشجاع الفضيل الورثيلاني صاحب السبق في ميادين الجهاد، والعمل لتحرير العباد من عبادة العباد الى عبادة الله الواحد القهار.

[1] يحيى بوعزيز، نفس المرجع السابق، ص190،191.

[2]- الفضيل الورثيلاني، مصدر سابق، ص15.

ولئن كان الورثيلاني من أبناء الجزائر فإن تحركه وجهاده لم يكن للجزائر وحدها، بل للمسلمين عامة، لأن غايته الجهاد في سبيل الله لإعلاء كلمة الله[1].

– ويضيف كذلك عبد الله العقيل حول معرفته بشخصية الورثيلاني قائلا:" أن أستاذنا الفضيل الورثيلاني علم من أعلام الإسلام المعاصرين، عرفته قبل أن أراه، وشجعت جهاده في أكثر من ميدان، حتى إذا شاء الله إلتقيته في مصر أوائل الخمسينات، فوجدت الرجل أكبر مما سمعت وفوق ما علمت، فقد آتاه الله علما واسعا وذكاء حادا وبديهة حاضرة وثروة من التجارب وافرة، وأسلوبا في الحوار نادرا، وجرأة في الحق وقدرة على التصدي للباطل، وسلاسة في الحديث وفصاحة في الخطاب، وقوة في الإيمان و يقظة في الضمير.

ولست في هذا مبالغا ولكنه بعض ما في الرجل، لأن الفضيل الورثيلاني نموذج فريد للرجل المسلم القوي، الذي تصغر في عينيه عظائم الأمور وتهون أمامه كل الصعاب فلا يتهيب من اقتحام الميادين مهما عظمت التضحيات ولا يتردد لحظة في مواجهة الباطل المتفشي مهما كانت قوته وجبروته، ومن هنا كانت محبتي له وتعلقي به والتتلمذ على يديه"[2].

6)– ويروي كذلك الأستاذ محمود عبد الحليم في كتابه(الإخوان المسلمون أحداث صنعت التاريخ): " كان الفضيل الورثيلاني شابا جزائريا من زعماء المجاهدين الذين طاردهم الاستعمار الفرنسي فهرب إلى مصر و اتصل بالإخوان المسلمين وكان كثير التردد على المركز العام للإخوان المسلمين، حتى لا يكاد يتردد عليه كل يوم باعتبار هذه الدار مركز الحركات التحريرية ضد الاستعمار في كل بلد إسلامي، كان الفضيل الورثيلاني لماح الذكاء سريع الحركة كثير المعارف، لا يقتصر تحركه على ما يخص موطنه الأصلي–الجزائر– بل كان يرى العالم الإسلامي وحدة لا تتجزأ، وأنه مطالب بتحرير كل جزء منه، وأعتقد أن الفضيل

[1] عبد الله العقيل، نفس المصدر السابق، ص694.

[2] عبد الله العقيل، نفس المصدر السابق، ص696.

[2] عبد الله العقيل، المصدر نفسه، ص ص695،696.

[3] المصدر نفسه، ص700.

الورثيلاني كان أول من سافر إلى اليمن وأسس شركة للتجارة، وأما الأستاذ عبد الحكيم عابدين فسافر إلى اليمن بعد الثورة اليمنية التي أطاحت بالإمام يحيى".

– هذه الشهادة للأستاذ محمود عبد الحليم تحمل في طياتها الكثير من العبر حول قضية اتهامه في قضية مقتل الإمام يحيى وحول أهدافه وغايته من سفره الى اليمن وأن هدفه سبيل إصلاحي واقتصادي وليس لإثارة الفتنة كما يزعم البعض أنه مشارك في مقتل الإمام يحيى، وأنه أثار البلبلة وسط الشعب اليمني الشقيق.

7)– وقد وصفه الشاعر اليمني القاضي محمد محمود الزبيري بقوله: "لا أظن أنه يوجد للفضيل الورثيلاني نظير في العالم الإسلامي علما وكمالا وإخلاصا وهيبة وجلالا".

خلاصة الفصل

نستنتج أن الفضيل الورثيلاني قد تربى في عائلة عريقة ولها أصول متجذرة بالتاريخ، عرف عنها العلم وحفظها للقرآن الكريم، بالإضافة إلى البيئة التي لها أثر كبير في تكوين شخصيته، والتي جعلت منه شخصية قوية وفريدة من نوعها، يشهد له بذلك البعيد قبل القريب، وقد كانت له رحلات متعددة داخل الوطن وخارجه جعلته يتعرف على أحوال شعبه عن قرب وبالإضافة إلى ذلك أدائه الخدمة العسكرية الإجبارية التي مكنته من الاطلاع على ما يعانيه الجزائريون من ممارسات عنصرية من طرف السلطات الاستعمارية الفرنسية، وواصل الورثيلاني جهاده وكفاحه إلى غاية أن وافته المنية مخلفا وراءه مجموعة من الخطابات والمقالات المنشورة في كتابه الشهير " الجزائر الثائرة " معبرة عن مواقفه المشهودة إزاء وطنه الصغير الجزائر والعربي والإسلامي عامة.

الفصل الثاني
جهوده في المجال الإصلاحي

يتناول هذا الفصل جهود الفضيل الورثيلاني في المجال الإصلاحي بداية بنشاطه بالجزائر في إطار جمعية العلماء المسلمين ثم في كل من فرنسا و اليمن و بلدان أخرى متفرقة كسوريا ولبنان والعراق وباكستان، لنتعرف على أهم نشاطاته في الميدان الإصلاحي.

المبحث الأول: نشاطه الإصلاحي بالجزائر:

إن جمعية العلماء المسلمين الجزائريين كان لها الفضل- بعد الله- عز وجل في تخريج القمم السامقة، وأولئك الأئمة والأعلام والرجال العظام، ولن ينسى المنصفون من الناس هذا الدور العظيم لهذه الجمعية المباركة، سواء في داخل الجزائر أو خارجها[1].

وما الشيخ الفضيل الورثيلاني الذي لعب دورا كبيرا في ميدان الإصلاح والتعليم إلا رائدا من روادها وعلم من أعلامها، وهذا ما أكده معاصروه والذين تتلمذوا على يده[2]، ومنه ارتأينا في مستهل بحثنا إلى تعريف الإصلاح، وقد كان على النحو التالي:

1)- مفهوم الإصلاح:

أ)- لغة: صلح من الصلاح الذي هو ضد الفساد، وصلح ويصلُح صلاحا، وصلوحًا، والإصلاح نقيض الإفساد، والاستصلاح نقيض الاستفسار، وأصلح الشيء بعد فساده أي أقامه، وأصلح الدابة إذا أحسن إليها فصلحت، وفي التهذيب نقول: أصلحت إلى الدابة إذا أحسنت إليها[3].

ب)- اصطلاحا: جاء في تفسير ابن باديس قوله: « والإصلاح هو إرجاع الشيء إلى حالة اعتداله إزاء ما طرأ عليه من فساد، والإفساد هو إخراج الشيء عن حالة اعتداله بإحداث خلل

[1] عبد الله العقيل تق، مصطفى مشهور وآخرون، نفس المصدر السابق، ص701.

[2] - عبد القادر مولاي، دور العلامة والمصلح الفضيل الورثلاني في الإصلاح والتربية والثورة التحريرية الجزائرية الكبرى، مجلة حوليات، ج17، جامعة الجزائر،ع1، ص289.

[3] - جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم بن منظور، "لسان العرب"، ج2، دار صادر، بيروت، لبنان، د.ت، ص ص 516، 517.

فيه، فإصلاح البدن بمعالجته بالحمية والدواء، وإصلاح النفس بمعالجتها بالتوبة الصادقة، وإفساد البدن بتناول ما يحدث به من الضرر، وإفساد النفس بمقاربة المعاصي والذنوب. وهكذا تعتبر النفوس بالأبدان في باب الصلاح والفساد في كثير من الأحوال، غير أن الاعتناء بالنفوس أهم وألزم لأن خطرها أكبر وأعظم». وقد جاء في معجم الفلسفة تعريف الإصلاح: « هو إزالة الفساد في المجال الأخلاقي والاجتماعي». والإصلاح الديني هو إزالة البدع من العقيدة والشريعة. والإصلاح أمر من الأمور هو تحسينه تدريجيا للحصول على نتائج أفضل، مثل الإصلاح الاجتماعي والسياسي. ونجد أيضا أن: « الإصلاح هو محاولة تنزيل الدين الإسلامي وأحكامه على عقائد المسلمين وسلوكهم وأوضاعهم المختلفة الجوانب وحل مشاكلهم بما قرره الإسلام من الأحكام والقواعد مع مراعاة متطلبات العصر ومقتضى ما تستجد به حياة الناس عن قضايا ونوازل، تخص حياتهم اليومية وتفرضه حاجاتهم الملحة»[1].

ويضيف أبو القاسم سعد الله في شأن الإصلاح قائلا:

" والإصلاح بالمعنى الشامل حسب بعض الاتجاهات الفكرية، قد يبدأ بالثقافة أو بالدين أو بالمجتمع، ولكنه في نهاية الأمر يغطي كل مظاهر الحياة في مجتمع ما، بما في ذلك السياسة، وهذا بالضبط ما حدث للإصلاح في الجزائر."[2]

وقد ورد لفظ الإصلاح أو أحد مشتقاته في القرآن الكريم 173م، فجاء لفظ الإصلاح مقترنا بالفساد ونقيضا له، قال تعالى: « ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها وادعوه خوفا وطمعا إن رحمة الله قريب من المحسنين»[3]. كما جاء مقترنا بالايمان والكفر لقوله تعالى: «

[1] عبد الكريم بلبالي، " جريدة البصائر الجزائرية الثانية وموقفها من قضايا معاصرة 1366هـ-1375هـ/1947م-1956م"، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، تخصص: التاريخ الإفريقي الحديث والمعاصر، إشراف: محمد حوتية، الجامعة: الإفريقية أحمد دراية، أدرار، كلية العلوم الاجتماعية والعلوم الإسلامية، قسم: التاريخ، نوقشت بتاريخ: 2012/06/05م.

[2] – أبو القاسم سعد الله، " الحركة الوطنية الجزائرية"، ج3، ط4، دار الغرب الاسلامي، بيروت(لبنان)، 1992م، ص 88.

[3] سورة الأعراف، الآية 55.

وما نرسل المرسلين إلا مبشرين ومنذرين فمن آمن وأصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون»[1]، وغيرها من المواضع الأخرى في القرآن ليبين أهمية الإصلاح على الفرد في نفسه وعلى تأثيره على المجتمع ككل إذا تحقق ذلك.

– ومما سبق يمكن حصر النشاط الإصلاحي للورثيلاني في الجزائر على صعيدين أو ميدانين هما، على النحو التالي:

- **أولا: في مجال الإصلاح والتعليم ومحاربة البدع:**

كما أسلفنا سابقا الذكر، أن أول انطلاقة للعمل الإصلاحي للورثيلاني كانت تحت لواء جمعية العلماء المسلمين الجزائريين التي أتاحت له الفرصة وفتحت عيناه على حقيقة الوضع بالجزائر وما يعانيه هذا الأخير تحت وطأة الاستعمار الأجنبي الذي سعى دوما لطمس شخصيته وهويته وأصالته وعمل على ذوبانه وانصهاره داخل القيم الغربية الأوروبية"، حيث كان دوما على استعداد لخدمة ونجاح الدعوة والإرشاد"[2].

الأوضاع المزرية للجزائر في شتى المجالات وبخاصة في الميدان الديني الذي عملت فرنسا منذ أن وضعت أقدامها بها إلى القضاء على الدين الإسلامي واللغة العربية حيث قال أحد الحكام الفرنسيين بالجزائر في هذا الشأن: « إننا لن ننتصر على الجزائريين ماداموا يقرؤون القرآن، ويتكلمون العربية، فيجب أن نزيل القرآن من وجودهم، وأن نقتلع العربية من ألسنتهم»[43]، ولا يسعنا هنا الحديث إلا بالرجوع إلى الوسائل والأساليب والإجراءات المختلفة التي تبنتها السلطات الاستعمارية الفرنسية منذ 1830م، لتسيطر روحيا على الشعب الجزائري، لأن فرنسا تعلم جيدا مدى تأثير القيم الروحية الإسلامية على الشعب الجزائري وبمساسها وقضاءها عليه

[1] – سورة الأنعام، الآية 48.

[2] – عبد القادر مولاي، نفس المرجع السابق، ص290.

[3] – أحمد طالب الإبراهيمي، "أثار الإمام محمد البشير الابرهيمي" ، ج1، (1929–1940 م)، ط1، دار الغرب الاسلامي، بيروت(لبنان)، 1997م، ص7.

سوف تضمن سيرورة عملها وبقائها، حيث نجد أنها منذ أن وطأت أقدامها الجزائر عملت على الاستيلاء على الأوقاف الإسلامية باعتبارها الراعي والممون الرئيسي للنشاطات الدينية والتعليمية وفي نفس الوقت تشكل عائقا في وجه المخطط الاستعماري، وهذا ما دفع أحد الكتاب الفرنسيين إلى القول " بأن الأوقاف تتعارض والسياسة الاستعمارية، وتتنافى مع المبادئ الاقتصادية التي يقوم عليها الوجود الاستعماري الفرنسي في الجزائر"

فرنسا الطامعة للاستيلاء الاقتصادي الكلي على الجزائر لم تكتف بذلك فحسب بل سعت جاهدة للغزو الروحي على الجزائريين، لأنها لم تكتفي بامتلاك الاقتصاد فقط، بل تعدت ذلك إلى استهلاك الاقتصاد والعباد، تريد غزو الفكر والعقل لتضمن السيطرة الكلية والفعلية، حيث بدأت " الحكومة الفرنسية تصدر القرارات والمراسيم وتهدف من ذلك لتصفية أملاك الأحباس من مساجد ومساكن ومعاهد وبساتين ومطاحن وفنادق وأراضي شاسعة في مختلف أنحاء الجزائر وإدخالها في نطاق التعامل التجاري مما يسهل للأوروبيين امتلاكها حيث في **الثامن من سبتمبر 1830م** أصدرت مرسوم يحدد ملكية الدولة ويسمح لها بالاستيلاء على أملاك الأتراك وفي السابع من ديسمبر 1830م، أصدر الجنرال كلوزيل قرار آخر يسمح بانتقال الأحباس إلى المعمرين الأوربيين، ثم ظهر قرار 30 من شهر أكتوبر 1858م أدخلت بموجبه أملاك الأوقاف في مجال التبادل، وأخيرا جاء قانون 1873م صودرت بموجبه نهائيا كل أملاك الأوقاف"[1].

وقد كانت نتائج هذه القرارات والمراسيم وخيمة جدا حيث " أنها أغلقت السلطات الفرنسية في مدينة الجزائر 13 مسجدا كبيرا و 108 صغيرا و 32 جامعا و 12 زاوية وتم تحويل العديد من المساجد إلى إسطبلات ومستودعات ومستشفيات عسكرية وكنائس ومن بينهم مسجد كتشاوة المشهور الذي حوله الجنرال روفيقو سنة 1832م إلى كنيسة"[2].

[1] - عمار عمورة، "موجز في تاريخ الجزائر"، ط1، دار ريحانة للنشر والتوزيع، القبة، الجزائر،2002، ص124.

[2] - أحمد توفيق المدني، " هذه هي الجزائر"، د.ط، مكتبة النهضة المصرية (مصر)، 2001، ص140.

ويقول أحمد توفيق المدني في هذا الشأن أن " الاستعمار قد حطم أول ما حطم كل الكتاتيب القرآنية، وألغى وحجر التعليم في المساجد التي دمر وهدم أكثرها، ثم هو لم يعوض ذلك بشيء آخر، لأنه يعلم أن الأمة إن علمت قاومت الاستعمار، ولم ترضخ لقيوده، وسعت السعي الحثيث للتخلص منه.

فسياسة " التجهيل " كانت إلى جانب سياسة " التفقير " شعار الاستعمار الفرنسي في قطر الجزائر، والقانون الذي سار عليه منذ يومه الأول[1].

الشعب الجزائري بصفة عامة خاض الصراع المرير والطويل وعلى جوانبه المتعددة مع السلطات الاستعمارية الفرنسية، وجمعية العلماء المسلمين الجزائريين وروادها بصفة عامة خاضوا وحملوا على عاتقهم أهم جانب ومقوم هو الجانب الديني، حيث ضمن هذا الأخير خاضت " الجمعية المعركة السياسية في الثلاثينيات حيث حاربت بقيادة ابن باديس عدة جبهات في مقدمتهم الاستعمار ورجال الطرقية ورجال التبشير المسيحي ودعاة الفرنسة وذلك عن طريق الدفاع عن مقومات الشخصية الجزائرية المتكونة من العقيدة واللغة العربية والثقافة الإسلامية، وفي هذا الصدد كتب ابن باديس في إحدى الصحف الناطقة باسم جمعية العلماء المسلمين "أن الأمة التي لا تحترم مقوماتها من جنسها، ولغتها، ودينها، وتاريخها لا تعدّ أمة بين الأمم، ولا ينظر إليها إلا بعين الاحتقار مع القضاء عليها في ميادين الحياة بالتقهقر والاندحار"، ولا شك أن إصلاح العقيدة هو أساس كل إصلاح، فقد قال الإمام مالك (رضي الله عنه):[2] «لا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها» وهو الشعار الذي رفعه المصلحون في الجزائر وجسدوه في أقوالهم وأفعالهم.

ومن خلال ملاحظات واستنتاجات كذلك محمد البشير الإبراهيمي للشعب الجزائري أنه –الشعب– محكوم "بعالم الأشخاص" بتعبير مالك بن نبي، فقد كان متعلقا بشيوخ الطرق

[1] - عمار عمورة، نفس المرجع السابق، ص125.

[2] - أحمد طالب الإبراهيمي، مصدر سابق، ج1، ص7

الصوفية ولو شرعوا له من الدين ما لم بأذن به الله، فمثل الشعب الجزائري في هذا العهد كمثل الجاهلين الذين قال قائل يصفهم:

لا يسألون أخاهم حين يندبهم في النائبات على ما قال برهانا[1] هذه الملاحظة للبشير الإبراهيمي إن كانت تدل على شيء إلا على أن الشعب الجزائري كان يعاني تخلفا كبيرا جدا في الجانب الديني حيث وصل به الأمر إلى حد التصديق والتقبل لكل ما يملأ عليه من طرف بعض شيوخ الطرق الصوفية والزوايا، ومهما قالوا لا يسألهم الدليل أو البرهان على صحة كلامهم، كما قال البارئ جلّ في علاه في سورة البقرة بعد أعوذ بالله من الشيطان الرجيم : « هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين» صدق الله العظيم.

وبالنظر لكل هذه الظروف والأوضاع، تمكن الورثيلاني بعد إنهائه لدراسته الثانوية بالجمعية الخيرية(*)[2] التي كانت نواة التربية والتعليم، حيث تخرج على يديه الكثير من الطلبة الذين لا يزالون يذكرون ماله عليهم من فضل وإحسان، واعتراف بالجميل، لقد عمل الفضيل الورثيلاني بكل جد وإخلاص " للقضاء على الجهل والخرافات البالية لأنهما يقفان في طريق تقدم المجتمع ورقيه، وقد اعتمد في تدريسه على إعطاء الأمثلة من الواقع المعاش، حيث يقول أحد تلاميذه «... ما عرفت الإيمان ولا الإخلاص ولا تصورت مدلولهما إلا بعد أن تلقيت درسين من الأستاذ الفضيل الورثيلاني التي كانت بمثابة معان سامية وتفهمها بكل دقة وتفصيل».

---

[1] – سورة البقرة، الآية 111.

(*)– الجمعية الخيرية، أو بالأحرى جمعية التربية والتعليم الإسلامية التي تم تأسيسها من قبل الشيخ عبد الحميد بن باديس وإخوانه العلماء عام 1930م في مدينة قسنطينة بعد حصولها على ترخيص من قبل سلطة الاحتلال الفرنسي وكان غرض الجمعية مفهوما من اسمها ومن قانون الأساسي الذي صادقت عليه السلطة، وجاء في المادة الثانية من القانون القصد من الجمعية هو نشر الأخلاق الفاضلة والمعارف العربية، وتأسيس مكتب للتعلم وملجأ للأيتام وناد للمحاضرات، وأما أعضاءها المؤسسون هم: عبد الحميد بن باديس رئيسا، وإسماعيل بن نعون نائبا، وحسين شريف أمينا ماليا وهناك عدد من الأعضاء يتراوح إلى تسعة، ينظر، ثعبان حسب الله علوان الشمري، " واجهات الفكر الدعوي الإصلاحي للشيخ الفضيل الورثيلاني"، مجلة كلية التربية الأساسية، مج 20، ع82، ص 494.

وهذه الشهادة إن كانت تدل على شيء إلا على أن الورثيلاني كان خطيبا جريئا وفصيحًا ومتمكنا في اللغة واجتماعيا وله القدرة على إيصال المعنى لطلابه بكل يسر ودون تكلف أو عناء، نظرا لحنكته وتفوقه العلمي واطلاعه على أكثر من ميدان في مجال التربية والتعليم، و هذا ما أهله رفقة أصدقائه المصلحين من" تكوين شبيبة جزائرية صالحة كانت بمثابة قاعدة للنهضة الثقافية في الجزائر التي تطورت واتضحت معالمها أثناء الثورة التحريرية وبعد الاستقلال"[1].

إن التعليم والإصلاح ومحاربة الخرافات والبدع التي يعاني منها الشعب الجزائري، كان بمثابة الثورة الأولى التي أشعلها الورثيلاني ومن سبقوه في ميدان الإصلاح بالجزائر ضد الاستعمار الأجنبي، والثورة التحريرية الجزائرية لم تكن إلا نتاجا لأعمال هؤلاء المصلحين الذين وضعوا القاعدة الأولى وأرجعوا المجتمع إلى أسسه المتينة التي إذا تمسك بها لم ولن يزول أبدا هما القرآن الكريم واللغة العربية، لأنهما هما سر وجود حياة كل الشعوب الإسلامية عامة والشعب الجزائري الذي يعاني من الجهل والاستعمار خاصة، حيث " أصر الورثيلاني على خدمة الإصلاح ضد كل جبهات الجهل والاعتقاد الزائف والفكر الجامد، مهما كلفته الظروف والعراقيل معبرا بقوله... تستطيع الظروف أن تكيفنا ولكنها لا تستطيع أن تتلفنا[2].

" لم يكتف الشيخ الورثيلاني بالدروس التي كان يقدمها بل كان يقوم بجولات ميدانية عبر مناطق البلاد يتعرف فيها على الناس وأحوالهم، ويلقي الدروس في المساجد والزوايا، ويصرح عن نشاطه التعليمي والتربوي وعن الدروس العلمية التي يتلقاها الطلبة في مدينة قسنطينة حتى يبين لهم الفائدة المرجوة منها لمن يشاء الالتحاق بها، فلقيت دعوته إقبالا فائقا وألح على شيوخ الزوايا لتشجيع الشباب للتعلم، وبهذا تنامى عدد الطلاب بالجامع الأخضر بقسنطينة، وتزامن عمله هذا مع أهداف ومبادئ جمعية العلماء المسلمين الجزائريين منذ نشأتها

[1] - عبد القادر مولاي، نفس المرجع السابق، ص290.

[2] - محمد الصالح الصديق، نفس المرجع السابق، ص110.

وتأسيسها عام 1931م إذ قررت أن توفد إلى أمتها رجالا يعملون بهذا الأسلوب في نشر الدعوة لصالح فئات الشباب الجزائري.[1]

وكما قال البشير الإبراهيمي " لقد حضر الورثيلاني اجتماعات جمعية العلماء المسلمين الجزائريين العامة والخاصة، فاكتسب منها الصراحة في الرأي والجرأة في النقد البناء، والاحترام للمبادئ لا للأشخاص.[2]

" وكل هذه الخصال الممتازة في شخصية الورثيلاني هي التي جعلته يكون محبوبا وأشد ارتباطا بأستاذه ابن باديس ويوليه عناية ويعتمده في المهام الكبيرة".

وفي بداية السنة الدراسية 1934/1933م أصبح الفضيل مساعد الشيخ بن باديس في التدريس لبعض الأقسام، كما أسلفنا سابقا، وفقا للبرنامج المسطر، وفي هذا يقول بعض طلبته " أنه كان لا يكتفي بدرس المادة المقررة، بل يتناول ما شاء من الأدب والتاريخ والسياسة وغيرها.... يؤاتيه في ذلك لسان فصيح، وقريحة وقادة وعبقرية في التفكير والتقدير... ومن طبيعة العبقري أنه لا يتقيد بموضوع وبمنهج محدد مثل غيره من الناس[3]"، ولقد كانت علاقته بطلابه علاقة أساسها المودة والمحبة والاحترام المتبادل، حتى أن كل طالب يحسه بمثابة والده الذي لا يحب له إلا كل خير، ولا يعمل إلا من أجل إعداده فكريا وروحيا ووطنيا.[4]

لقد كانت للورثيلاني خطابات دعوية إصلاحية منها التي ألقاها عند زيارته لوادي سوف، لإلقاء الدروس والمحاضرات التوجيهية عام1938م، وخطب هناك في أثناء زيارته بعدد كبير من الحضور، منتقدا الأوضاع السيئة التي تعيشها الجزائر في ظل الاحتلال، وشن هجوما

[1] – عبد القادر مولاي، نفس المرجع السابق، ص291.

[2] أحمد طالب الإبراهيمي، نفس المصدر السابق، ج2، ص329.

[3] – سليمة كبير، نفس المرجع السابق، ص12

[4] – ثعبان حسب الله علوان الشمري، نفس المرجع السابق، ص484

لاذعا على الطرق الصوفية التي وصفها بعلة العلل، داعيا إلى إصلاح العقيدة الإسلامية بالعودة إلى منابعها الأصلية القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة.

ثانيـــا: في مجال الصحافة:

من المعروف عن الشيخ الفضيل الورثيلاني أنه شغوف بالاتصال والاحتكاك بالجماهير لنصحها وإرشادها، فيما يخدم مصالحهم ومصلحة الوطن ككل، لهذا " أنيطت به مهمة تتلائم مع طبيعته في حب الاتصال بالجماهير الشعبية وتنسجم مع ميوله نحو الدعوة والتبليغ والتبشير بالمبادئ التي يؤمن بها ويقتنع بصحتها وصدقها، لهذا وجد ضالته في مهمة تمثيل مجلة الشهاب(*) التي كانت تصدر في ذلك العهد بمدينة قسنطينة، وقد كان ينشر فيها قضايا اجتماعية وثقافية وسياسية، وطاف أطراف البلاد متنقلا باسمها لتكثير أنصارها وتوضيح خطتها وغايتها... وقد قام بهذه المهمة سنة 1932م".[1]

" وفي شهر أكتوبر1934م عين مدرسا في مدرسة التربية والتعليم الإسلامية، وعندما أصدرت هاته الأخيرة نشرة تربوية عام 1936م، شارك في تحريرها بموضوعين، الأول عن التربية، والثاني عن الشباب.[2]

" تصدى الورثيلاني من خلال صحافته وكتاباته في مجلة الشهاب لمواضيع عديدة منها الدعوة للتعليم العربي وإعطاء الحرية لخطباء المساجد، وتأكيده فصل الدين عن الدولة،

(*)- مجلة الشهاب، وهي صحيفة أصدرها الشيخ عبد الحميد بن باديس عام1925 م وكانت أسبوعية ثم أصبحت مجلة شهرية عام 1929م وكتب فيها الشيخ ابن باديس الكثير من خطاباته وأفكاره الإصلاحية، وأصبحت هذه معبرة عن لسان حال جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بعد أن ترأسها الشيخ بن باديس عام 1931م حتى وفاته عام1940م، ينظر، يحيى بوعزيز، نفس المرجع السابق، ص77.

[1] الفضيل الورثيلاني، نفس المصدر السابق، ص37.

[2] – يحيى بوعزيز، نفس المرجع السابق، ص177.

فضلا عن مرافقته لابن باديس في رحلاته إلى مختلف أنحاء الجزائر، ودونها بوصفه مندوبا للمجلة موضحا للاماكن التي زارها والشخصيات التي التقى بها[1].

وقد سجل الورثيلاني حضوره من خلال ما كتبه من تنديدات ببعض الأشخاص الذين يحاولون بث الأفكار البعيدة عن الدين الإسلامي مستغلين الجهل والتخلف المنتشر في الجزائر، وبخاصة في المناطق الريفية في كل من جريدة السنة النبوية المحمدية(*)، وجريدة الشريعة النبوية(*)[2]، وقد تلخصت جهوده من خلال الصحافة على ما يلي:

1)- تأكيده على التعليم ولاسيما شباب الجزائر، لأنهم الطليعة الثورية لبناء بلدهم.

2)- العمل على بناء الشخصية الجزائرية كما أكدها أستاذه ابن باديس.

3)- تأكيده الدائم لمحاربة الاستعمار الفرنسي ومن الذين تقف معهم (الطرقيين).

(*)-البصائر، هي رابع صحف ج ع م ج الأسبوعية، وقد أنشأت بعد تعطيل الإدارة الاستعمارية لثلاث جرائد للجمعية سنة واحدة-السنة المحمدية والشريعة المطهرة والصراط السوي-، منعت الجمعية من إصدار رأي صحيفة باسمها قرابة السنتين (من يناير1934م إلى سبتمبر1935م)، إلا أنه بعد جهود كثيرة بذلتها الجمعية لأجل الحصول على رخصة من الحكومة الفرنسية باسم الجمعية، صدرت في28سبتمبر1935م. ينظر، نور الدين بولحية، "جمعية العلماء المسلمين والطرق الصوفية وتاريخ العلاقة بينهما"، ج1، ط2، دار الأنوار، الجزائر، 2016م، ص264.

[1]عمر بن قينة، نفس المرجع السابق، ص44.

ثعبان حسب الله علوان الشمري، نفس المرجع السابق، ص483.

(*)- جريدة السنة النبوية المحمدية، وهي صحيفة أسبوعية كانت تصدر بقسنطينة، وهي أول جريدة ناطقة بلسان ج ع م ج يديرها الشيخ بن باديس، ويرأس تحريرها عضوان من إدارة الجمعية، عرفا بعدائهما الشديد للطرق الصوفية، وهما الشيخ الطيب العقبي، والشيخ محمد السعيد الزاهري. وقد تأسست بعد تأسيس الجمعية بسنتين، وبعد حوالي ثماني سنوات من صدور" الشهاب"، وكان أول عدد منها في الثامن من ذي الحجة سنة1351هـ (1933م)، وسرعان ما أوقفتها الإدارة الاستعمارية بحيث صدر أخر عدد منها في 03 جويلية 1933م. ينظر، نور الدين بولحية، نفس المرجع السابق، ص258.

(*)- جريدة الشريعة المحمدية، لما عطلت السلطات الاستعمارية جريدة السنة أعادت الجمعية إصدارها باسم الشريعة في17 جويلية 1933م. ينظر، نور الدين بولحية، المرجع نفسه، ص ص 260، 259.

4)- اهتمامه الكبير على فتح النوادي الاجتماعية وجعلها محطة للشباب لكي يتعلموا المهام الإسلامية والوطنية -أي بمعنى أن هذه النوادي هي محطات لتعليم الشباب وتحفيزهم نحو الثورة وللحفاظ على هويتهم العربية والإسلامية.

5)- حارب سياسة الاندماج والتجنس التي اتبعتها سلطات الاحتلال الفرنسي.[1]

- لقد لعب الورثيلاني دورا كبيرا بارزا في دعوته الإصلاحية من خلال الميدان الصحفي، الذي أتاح له الفرصة على خطاب الشعب الجزائري وتوعيته من خلال الجرائد والمجلات التي لعبت دورا كبيرا وتعتبر لسان حال الجمعية آنذاك.

" وقد كان كذاك لجريدة (البصائر) وقفات مع أصحاب الطريقة المنحرفة، أظهرت مكائدهم ومخططاتهم الخاضعة للاستعمار، وفي هذا الشأن يقول الشيخ الإبراهيمي: " إن البلاء المنصب على هذا الشعب المسكين، آت من جهتين متعاونين عليه، أو بعبارة أوضح من استعمارين مشتركين، يمتصان دمه، ويفسدان عليه دينه ودنياه: استعمار مادي هو الاستعمار الفرنسي، واستعمار روحاني يمثله مشايخ الطرق المؤثرون في الشعب والمتغلغلون في جميع أوساطه المتاجرون باسم الدين، والمتعاونون مع الاستعمار عن رضى وطواعية"، وهكذا اعتبرت البصائر محاربة الموالين للاستعمار من الجزائريين من أولى أولوياتها، من أجل القضاء على أصحاب الطرقية المنحرفين والقضاء على شعوذتهم وخرافاتهم[2].

[1] ثعبان حسب الله علوان الشمري، نفس المرجع السابق، ص483.

[2] عبد الكريم بلبالي، نفس المرجع السابق، ص ص76،77.

المبحث الثـــــاني: نشاطه الإصلاحي في فرنسا:

لم يقتصر نشاط الورثيلاني داخل الوطن فحسب، بل واصل عمله وأداء رسالته حتى في عقر دار المستعمر، حيث نظرا للخبرة و"لإمكاناته الفكرية ومعارفه العلمية الدينية وقدرته على الخطابة وإجادة الاتصال أوفدته جمعية العلماء المسلمين الجزائريين إلى باريس سنة 1936م لنشر فكرها الإصلاحي وتعهد شؤون المغتربين الدينية"[1]، حيث " أقام في باريس من سنة 1936م إلى سنة 1938م يبث الروح العظيمة في العمال والطلبة الجزائريين هناك، وهناك أنشأ النوادي لتعليم اللغة العربية ومبادئ الدين الإسلامي ومحاربة الرذيلة في أوساط المسلمين، واستطاع خلال عامين أن يفتح الكثير من النوادي الثقافية في باريس وضواحيها والمدن الفرنسية الأخرى، وكانت تلك النوادي تحتوي على قاعة للصلاة ومدرسة لتعليم الدين الإسلامي وتدريس اللغة العربية.[2]

" وليرد على الضالين من أبناء قومه هداية الإسلام، وليرد على الناشئين هناك من أبنائهم ما أضاعه الوسط من دين ولغة، و ليزرع في قلوب الآباء والأبناء معا حب الدين والجنس واللغة والوطن، وأسس في باريس وضواحيها بضعة عشر ناديا، عمّرها ورفاقه الذين أمدته بهم جمعية العلماء بدروسهم، التذكير للآباء والتعليم للأبناء والمحاضرات الجامعة في الأخلاق والحياة"، ويضيف كذلك محمد البشير الإبراهيمي على أن هذه الأعمال كلها كانت ناجحة نجاحا عاد على المسلمين بفرنسا بالخير والبركة وعاد على جمعية العلماء بالسمعة العطرة والدعاية الطيبة، وكان في تلك المدة كلها متصل الأسباب بجمعية العلماء مراسلة واستمدادا وإشارة واستشارة"[3].

[1] عمر بن قينة، نفس المرجع السابق، ص44.

[2] عبد الله العقيل تق، مصطفى مشهور وآخرون، مصدر سابق، ص ص692،693.

[3] أحمد طالب الإبراهيمي، نفس المصدر السابق، ج2، ص330.

ونظرا لهذا النجاح الذي حققه الورثيلاني وتوسع نشاطه الإصلاحي بباريس دعم من طرف الجمعية بعدد من المصلحين لمساعدته في المهمة الموكلة إليه، والذين بدورهم رفعوا صوت الإسلام عاليا في الديار الفرنسية، ومن أولئك العلماء نذكر الشيخ السعيد صالحي(*)، والشيخ صالح بن عتيق، والشيخ حمزة بوكوشة، والشيخ السعيد البيباني، والشيخ فرحات بن الدراجي، والشيخ محمد الطاهر السنوسي، وغيرهم ممن وافقت مكانتهم العلمية تلك المهمة التي أرسلوا من أجلها[1].

وقد نشر يحيى بوعزيز شهادة للشيخ صالح بن عتيق، الذي يثني بدوره على أداء الورثيلاني بباريس وعن نجاحه وطريقة عمله هناك، روى ذلك خلال المؤتمر السادس للحزب بقصر المركب الرياضي في الشراقة أيام27 و28 نوفمبر1988م قائلا: " أن الفضيل لم تلد أم مثله، وكان فصيح اللسان بالعربية، والقبائلية، والفرنسية، وقد اتفق مرة مع صاحب مقهى قبائلي يتردد عنده كثير من المهاجرين، على عقد اجتماع هناك للاتصال بأولئك المهاجرين المشردين[2]، وعندما ذهبنا إلى ذلك المقهى وجدنا عددا كبيرا منهم موزعين في زوايا المقهى وبجانب كل واحد كأس من الخمر والبعض منهم مصحوبين بالنساء والفتيات، وطلب منهم صاحب المقهى قائلا لهم: إن هناك جماعة تريد التحدث إليكم، وكانوا يتصورون أننا فرقة من المغنين، أو الممثلين في المسرح، فتقدم لهم الفضيل وخاطبهم باللغات الثلاث، وأخذ يضرب على الوتر الحساس، وذكرهم بنخوتهم، ورجولتهم، وحذرهم من ضياع أعمارهم هناك بفرنسا

(*)– الشيخ السعيد صالحي، المولود سنة1902م بـ"قنزات" ولاية سطيف وهو حفيد الشيخ الفقيه أرزقي أو بصالح وكان أحد تلاميذته، كان الشيخ السعيد صالحي متفرقا كثيرا في المواد الأدبية خاصة الخطابة والشعر، وعلوم اللغة والبلاغة ومادة الفقه الإسلامي، كان أحد أعضاء ج ع م ج، ومقربا كثيرا للشيخ بن باديس، خلال الح ع2، سجن بسبب مواقفه الإصلاحية، كما سجن بعد أحداث 1945/05/08م، وبعد الإفراج عليه عين من طرف ج ع م ج للإشراف على الجمعية الإصلاحية لمدينة سيق، حيث اعتقل هناك عام 1956م، وبقي في السجن حتى عام 1962م، وبعد الاستقلال تقلد عدة مهام في إطار وزارة الشؤون الدينية. ينظر، يحيى بوعزيز، نفس المرجع السابق، ص ص159، 160.

[1] عبد الكريم بلبالي، نفس المرجع السابق، ص ص172،171.

[2] يحيى بوعزيز، مرجع سابق، ص178.

وتعرض أمهاتهم وأخواتهم ونسائهم في الجزائر، للمهانة والاعتداء على شرفهن من طرف رجال الاستعمار الفرنسي، فتأثروا جميعا وبكوا، ولم ينته الاجتماع حتى اتفقوا جميعا على تكوين نادي هناك للجمعية، والالتفاف حوله، والتخلي عن كل الرذائل، والتفكير في مستقبلهم ومستقبل أسرهم، وعائلاتهم، وبلادهم الجزائر. وهكذا نجح الفضيل الورثيلاني نجاحا عظيما في لمّ شمل المهاجرين الجزائريين بباريس، وكل أنحاء فرنسا- وفي إيقاظهم من سباتهم ودفعهم للعمل الجاد[1].

ولقد كانت للورثيلاني " اتصالات واسعة بالمسلمين المقيمين في فرنسا من الجزائريين وغيرهم من العرب الدارسين هناك أمثال الشيخ محمد عبد الله دراز والشيخ عبد الرحمان تاج والأستاذ محمد المبارك وعمر بهاء الدين الأميري، ونظرا لهذا النشاط الإسلامي سعت السلطات الفرنسية والمنظمات العنصرية الإرهابية إلى التضييق على المسلمين الناشطين وفي مقدمتهم الورثيلاني الذي قررت منظمة (اليد الحمراء) الإرهابية اغتياله، فما كان منه إلا أن غادر فرنسا باتجاه ايطاليا بمساعدة الأمير شكيب أرسلان الذي وفر له جواز سفر[2]، ومنها قصد الورثيلاني مصر التي كانت له فيها انجازات كبيرة، " وهناك التحق بالأزهر الشريف معقل الأحرار ونال الشهادة العالمية بكلية أصول الدين والشريعة الإسلامية"[3]، واستأنف هناك نشاطه السياسي الموسع الذي يهدف منه للتعريف بقضية وطنه والوقوف إلى جانب وطنه المغرب العربي الكبير في كل يلم به من نوائب.

إن إرسال الورثيلاني إلى عقر دار المستعمر وتوكيله بمهمة أقل ما يقال عنها أنها صعبة في ظل الظروف والوسط الغربي، ما هو إلا ثقة كبيرة في شخص الورثيلاني من طرف رئيسه ونائبه -عبد الحميد بن باديس والإبراهيمي- وهذا الأمر أثار سخط و تذمر البعض أمثال علي بن أحمد وصالح بن الساعي حيث قال مالك بن نبي في هذا الشأن: "... ولا يزال

[1] يحيى بوعزيز، المرجع نفسه، ص179.

[2] عبد الله العقيل تق، مصطفى مشهور وآخرون، نفس المصدر السابق ص693.

(علي بن أحمد) ساخطا على الجميع، يلعن شياطين الإنس والجن عن يمينه وعن شماله، وكان أكبر سخطه موجها في تلك الفترة إلى جمعية العلماء، ينتقدها حتى لتعينها الشيخ الورثيلاني نائبا عنها في باريس، فيعلن سخطه بأنهم تعدوا على كرامتنا نحن أنا، و(بن الساعي).

ويضيف مالك بن نبي: أنه بالرغم من العلاقة بينه وبين علي بن أحمد وبن الساعي والورثيلاني إلا أن تعيينه من طرف جمعية العلماء نائبا عنها في باريس، "كان انتقاصا من موقفنا أمام السلطات الاستعمارية، التي طالما وقفنا منها بوصفنا مناضلي الفكرة الإصلاحية"[1].

[1] مالك بن نبي، " مذكرات شاهد القرن"، د.ج، ط2، دار الفكر، سورية، 1984م، ص377

المبحث الثالـــــث: نشاطه الإصلاحي في اليمن:

إن نشاط الورثيلاني باليمن أثار الكثير من الجدال وشابه نوع من الغموض، نتيجة لما تعرض له واتهم به جراء هاته الزيارة، ولكن بعض المؤرخين والكتاب يجزمون أن البدايات الأولى لزيارة الورثيلاني كانت لأغراض تجارية[1]، حيث أنه ذهب موفدا من الشيخ حسن البنا زعيم الإخوان المسلمين بمصر ليدير شركة تجارية مقرها مصر، تابعة للإخوان المسلمين ولها امتيازات واسعة في اليمن وذلك لخبرته في الميدان التجاري، وأنه ذهب إلى عدن، ومن هناك دخل اليمن الشمالي حتى وصل إلى صنعاء، ومن خلال هاته الزيارة ربط العديد من الصلات مع أعيان وكبار اليمن حيث أعجب به ملك اليمن، والأمراء، والأعيان بفصاحته، وسحر بيانه، وقدرته على الإقناع، ودعوته الصريحة للإصلاح[2].

وفي أثناء هذه الزيارة لاحظ الورثيلاني ما يعانيه الشعب اليمني من جراء التخلف في شتى المجالات وبخاصة في الميدان الاقتصادي والاجتماعي وغيرهم في ظل حكم الإمام يحيى حميد الدين وحاشيته الذين وصفهم الشيخ الحكيمي في مستهل مذكرته " بطغمة من اللصوص يدعون أنفسهم حكاما للشعب باسم الدين، إن حكام اليمن من الأئمة مازالوا يعيشون حياة العصور الوسطى...[3].

[1] عادل نويهض، "معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر"، د.ج، ط2، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت(لبنان)، 1980م، ص341.

[2] يحيى بوعزيز، نفس المرجع السابق، ص187.

[3] عبد العزيز قائد المسعودي، "معالم تاريخ اليمن المعاصر القوى الاجتماعية لحركة المعارضة اليمنية (1905م-1948م)"، د.ج، ط1، مكتبة السنحاني، صنعاء -الجمهورية اليمنية، 1992م، ص307.

وفي شأن حال اليمن وأئمته فقد وصفهم ووصف أوضاعهم وحالهم المؤلف محمود عبد الحليم في كتابه الإخوان المسلمين أحداث صنعت التاريخ بالتالي: «...أما اليمن فإنها لازالت تعيش في عصر ما قبل التوراة» هذا حسب ما لاحظه يثمن قوله هذا محمود عبد الحليم بأن "قولهم هذا لا مبالغة فيه، فإن اليمن كانت رزاحة تحت لون من الحكم يدعى لنفسه أنه الحكم الإسلامي الوحيد في العالم حتى أن الحاكم كان يطلق على نفسه لقب "الإمام" ويقصد بذلك أنه الحاكم الإسلامي الذي يجب أن يدين له بالطاعة كل مسلم على وجه الأرض... لكن هذا الحاكم كان أبعد الناس عن الإسلام بل إنه كان سبة وعارا في جبين الأمة الإسلامية[1].

ويضيف حول الأوضاع اليمنية قائلا: "عزلوا اليمن عن العالم كله، وكبلوا أهلها بأغلال الفقر والجهل والإذلال، فجميع ما تقل الأرض هو للإمام، فتراخى الناس عن فلاحة الأرض حتى جدبت... والتعليم محرم إلا على أسرة الإمام".

ونظرا للوضع الذي يعيشه اليمن فقد أعتبر الورثيلاني همزة وصل بين الإخوان المسلمين وحركة الأحرار اليمنيين حيث أن الشيخ البنا كان الشخصية العربية الأكثر نفوذا وبروزا بين الشخصيات العربية واليمنية التي ساهمت في أحداث 1948م وثمة عدد من الرسائل تلقتها حركة الأحرار من جماعة الإخوان المسلمين بواسطة الورثيلاني الممثل الشخصي للشيخ حسن البنا في اليمن.

من المعروف أن الفضيل الورثيلاني كان ينتقل بصورة ملفتة بالنظر طوالي عام 1947 و1948م بين صنعاء وعدن والقاهرة كجزء من نشاطه التجاري، الذي كان في الواقع يعكس توجهات سياسية.

[1] محمود عبد الحليم، الاخوان المسلمون"احداث صنعت التاريخ"، ج1، ط5، دار الدعوة، الاسكندرية، (مصر)، 1994 م، ص401.

ويضيف المسعودي أن الورثيلاني يتمتع بنزعة قومية عربية، وعاطفة إسلامية، وعداء ثابت لا هوادة فيه للأنظمة العربية المرتبطة بالاستعمار[1].

وبعد فشل تأسيس الشركة اليمنية –المصرية للصناعة والتجارة والنقل، قرر الورثيلاني مغادرة اليمن في شهر مايو1947م، وبعد ذهابه راسله المساهمين في الشركة بالحضور إلى اليمن فعاد مجددا، وعين حال وصوله إلى اليمن مديرا للشركة[2]، وقد تعرض خلال عمله التجاري للعديد من المضايقات إلا أنه واصل بقائه باليمن، مكث الورثيلاني السبعة شهور قبل حادث مصرع الإمام يحيى، واستطاع خلال هذه المدة كلها ربط صلاته قبل قيادة حركة الأحرار اليمنيين داخل وخارج اليمن، تلك العلاقة التي نجم عنها صياغة الوثيقة السياسية المعروفة بـ "الميثاق الوطني المقدس"[3].

ويقول المؤرخ اليمني القاضي عبد الله الشماخي:

" ويأتي الأستاذ الجزائري الفضيل الورثيلاني موفدا من الإمام حسن البنا، وروح الثورة تتقدمه، فيمر بعدن ويضاعف حماس قادة حزب الأحرار وأعضائه، ذلك الحماس الزاحف مع الفضيل إلى كل مكان حل فيه، فهو معه بتعز يهز الملك المظفر، وبـ "إب"، يحرك الملك المكرم والوالدة آروي، وبصنعاء يلهب شبابها وطلاب مدارسها وضباطها بسعير ثوري حول الجو بصنعاء وعدن إلى أتون من التفكير الموجه الصحيح، فصار اليمن وكأنه قد ألغم بصواعق ستنقض على الإمام يحيى وحكومته، حيال ما نعم به أحرار اليمن زمنا أوقعوهم بالغرور ومغباته، فلم يسمعوا لصوت الحقيقة المنبعث من مواطن القبائل اليمنية التي لم تصل إليها الدعوة النضالية فضلا عن الحماس لها ولروحها المستعمرة التي كانت لا تتجاوز بعض المجموعات من الشباب والطلاب والضباط في صنعاء، وإب، وذمار، وتعز، وهنا حماس زاد

[1] عبد العزيز قائد المسعودي، نفس المصدر السابق، ص317.

[2] عبد العزيز قائد المسعودي، المصدر نفسه، ص318.

[3] المصدر نفسه، ص319.

في إشعاله له الفضيل، وقد تمكن من ذلك لاحتضان ولي العهد أحمد له، فقد وصل تعز فاستقبله أحمد، وأعجب به وبدعوته الإصلاحية الإسلامية، وأسلوبه في الخطابة، والمحاضرة، والمحادثة، وفي تعز اتصل الفضيل بالسيد أحمد الشامي*، والقاضي عبد الرحمان الأرياني، والسيد زيد الموشكي، ، ولازمه في تجواله وتأثر كل منهما بالآخر، وفي صنعاء قام الفضيل نشاطه الثوري يرافقه المؤرخ المصري أحمد فخري، ويساعده الشامي، فيجذبان إليهما السيد العالم حسين بن محمد الكبسي، ويتصل الثلاثة بالمطاع وغيره، ويندفع الفضيل في إقامة الندوات، وإلقاء المحاضرات في المدارس، والمساجد، والحفلات فتسري روحه إلى الشباب والضباط، وطلاب المدارس، ولقد بلغ الحماس بصنعاء ذروته أوائل العام السابع والستين وثلاثمائة وألف هجرية (1948م)، وحول الجو بصنعاء إلى درجة من التوتر أصبح الإمام يحيى وأتباعه هم يحسون بأن حولهم ثورة ستنفجر فراحوا يتحسسون ليضعوا أيديهم على مواطنها، وبدأو باعتقال الشباب والضباط، وطلاب المدارس، وكلما حاولوا إيقاف الفضيل وإخراجه من اليمن و مد أيديهم إلى المثقفين حوله أرجعهم القدر، وتدخل ولي العهد وتوصياته بالفضيل، ودفاع السيد حسن الكبسي عنه، وكانت الثورة تبدو كأنها تطرق الأبواب.

وهنا يتدارس الكبسي وأمثاله حول الوضع الحقيقي لليمن، فيقرون[1] افتقار الثورة إلى عناصر النجاح ما لم تدعمها القبائل ولا سبيل إلى كسب القبائل عن طريق التوعية والمنظمات، فالوقت أضيق في هذا الطريق ومن هنا يأتي الأمير عبد الله الوزير إلى الإمامة مع رجالات الدستور المنصوص عليه في الميثاق المقدس"[2].

ويقول أحمد بن محمد الشامي في مذكراته (رياح التغيير في اليمن): "... وفي اعتقادي أن العالم المجاهد الجزائري السيد الفضيل الورثيلاني هو الذي غيرّ مجرى تاريخ اليمن في القرن الرابع عشر الهجري، وأنه حين وضع قدمه على أرض اليمن كأنما وضعها على (زرٍّ)

[1] يحيى بوعزيز، نفس المرجع السابق، ص188.
[2] يحيى بوعزيز، المرجع نفسه، ص189.

دولاب تاريخها، فدار بها دورة جديدة في اتجاه جديد، لأن ثورة الدستور سنة (1367هـ،1948م) هي من صنع الورثيلاني... لقد كانت هناك معارضة يمنية، وكان هناك نقد وتبرم ومنشورات ضد الدولة، وكانت هناك طموحات وزعامات وتحفزات. وكل ذلك يصلح أن يكون وقودا لثورة ما... ولكن (المعارضة) كانت بلا تنظيم، واتجاهات زعمائها مختلفة ومتباينة، والمناشدون بالإصلاح ودعاة التغيير والتطور لا توحدهم رابطة، والنقد والتبرم غير موجهين توجيها سياسيا هادفا بناءا،... والطموحات تتناقض فيما بينها، وكل متربص بالآخر، والزعامات العلمية والدينية والسياسية قد خدّرها الوهن، وجمدتها الأطماع ، والتحفزات الوطنية، ليس لها زعماء أكفاء ذو مؤهلات قيادية، فلما جاء السيد الفضيل الورثيلاني، عمل ما لم يعمله أحد من اليمنيين، فوحد شتات (المعارضة) في الداخل والخارج ، وأرشد المطالبين بالإصلاح والمناشدين بالتغيير والتطوير إلى طرق العمل وجمعهم في رابطة وطنية ، وقارب بينهم و بين أرباب الطموحات السياسية والزعامات العلمية والدينية والقبلية والتحفزات الإصلاحية من الناقصين والناقدين والمتبرمين، وصهر مجهوداتهم وأهدافهم واتجاهاتهم وآمالهم وأمانيهم في بوتقة (الميثاق الوطني) وإنني أعتبر الورثيلاني هو الذي استطاع أن يقنع الرئيس جمال جميل، بأن يؤلف جبهة من ضباط الجيش لتأييد الدستور، وأنه هو الذي أعاد الثقة إلى قلوب الموشكي والشماخي، وجعلهما يتعاونان من جديد مع الزبيري ونعمان في إطار الميثاق الوطني، وهو الذي استطاع إقناع الأمراء والعلماء والمشايخ والتجار والضباط والأدباء بمبايعة عبد الله الوزير إمامًا ثوريًا دستوريًا، ولولا الورثيلاني ما توحّد الأحرار في اليمن فالورثيلاني هو مهندس ثورة (1367هـ1948م) حقا"[1].

ويضيف المسعودي حول برنامج الميثاق الوطني المقدس، أنه يدين إدانة دامغة النظام الإمامي الاستبدادي، الذي أبقى اليمن متخلفا ومعزولا عن حضارة العصر، بالإضافة أن

[1] أحمد بن محمد الشامي، "رياح التغيير في اليمن"، د.ج، ط1، المطبعة العربية، جدة، 1984م.

[2] عبد العزيز قائد المسعودي، نفس المصدر السابق، ص313.

[3] أحمد طالب الإبراهيمي، نفس المصدر السابق، ج2، ص330

توصياته كانت غاية في الاعتدال، خاصة أن مطمحه الأول والأخير، تمحور حول إقامة « دولة يمانية » حرة مستقلة يكون فيها « نظام الحكم شوريًا دستوريًا بما لا يخالف الشريعة الإسلامية السمحة الصحيحة من كتاب الله وسنة رسوله»[1].

بعد وقوع حادثة اليمن التي وقع على إثرها مقتل الإمام يحيى حميد الدين، أتهم الورثيلاني بأنه المحرض على ذلك والمدير و" حشر في زمرة المتهمين بتدبيرها"، وشادت فئات من مرضى الحسد وصرعى الغل والحقد أن يتخذوا من تلك التهمة المتهافتة الشواهد ذريعة للنيل من سمعته والقدح في كرامته وشرفه، ثلة من المشارقة، وقليل من المغاربة وكما قال الإبراهيمي كنا سمعنا أخبار الحادثة في حينها وخبر الاتهام، وحسب الإبراهيمي فالجمعية تجزم بكذبة ذلك الخبر لعلمها ويقينها بابنها البار الورثيلاني ومعرفتها بظواهره وخوافيه[2].

الجمعية لم ترد ولم تبدئ أي موقف إزاء ما تعرض له الورثيلاني إلا أن الأستاذ محي الدين القليبي رماهم بالحقيقة بمقالة نشرت في جريدة « بريد اليوم» البيروتية التي يديرها رفيق سنو الذي يعتبر أحد الشهود العيان الذين عايشوا تلك المرحلة الصعبة التي عاشها اليمن بصفة عامة والورثيلاني خاصة، ومطلع على أسباب الحادثة وملابساتها وأسرارها ما لم يشهده ولم يعلمه واحد ممن كتب عن الحادثة رجما بالغيب، أو رواية عن ضنين، أو صدورا عن هوى[3].

بعد صدور حكم العفو على المتهمين في حادثة مقتل الإمام يحيى حميد الدين 1948م تناقلت وسائل الإعلام الخبر فكان تعليق الإبراهيمي عن هذا العفو كالتالي: " وقد كنا قرأنا في الجرائد الشرقية خبر عفو أمير اليمن عن المتهمين في الحركة الانتقالية التي كان من آثارها قتل أبيه يحيى حميد الدين، فلم يحرك من هذا العفو شعرة، كما لم يثر منا ذلك الانقلاب إلى الألم، ولا يستطيع أحد أن يتهمنا في هذا بجفاء الطبع، أو جفاف العاطفة، فنحت من أشد

[3] أحمد طالب الإبراهيمي، نفس المصدر السابق ، ص331.

[2] أحمد طالب الإبراهيمي، نفس المصدر السابق، ج3، ص591.

الناس افتتانا بالعروبة والعرب، وأرقهم إحساسا في النوائب التي تنوبهم، وأعمقهم أسى للحالة التي هم عليها، ولكن رأينا في ملوك العرب معروف، ومن رأينا في الكثير منهم أن كل ما يصدر منهم من عقد ونقض وعفو ومؤاخذة فهو ناشئ عن خطرات من الوساوس الفردية، لاعنا بواعث من المصلحة العامة، وأنهم عدموا القوانين [1] المقيدة، فاستحكمت فيهم النزعات المطلقة، فأصبحوا –في نظرنا– يوجدون، فكأنهم –في فراغ الحياة– ما وجدوا، ويفقدون فكأنهم –لهوان الخطاب– ما فقدوا، ومن رأينا في ذلك الانقلاب أنه أحط من بصيرة المتبصرين بدرجات، وأنه متأخر عن وقته بسنوات، وأنه لو صحبته البصيرة، وكان العلم والعقل من ذرائعه، لكان تطورا لا انقلابا، ولما سال فيه ملأ محجم من الدم.

ويعتبر الإبراهيمي أن كلمة العفو عنه كلمة لم يسب بأفحش منها حيث قال في هذا الشأن نرى أن كلمة "العفو عنه" كما تقول الجرائد، سبة لم يسب بأفحش منها ولا نظن أن ولدنا الفضيل ارتاح لها، أو أوقعت منه موقعا، لما نعرف فيه من الشمم وكبر النفس، وما زالت كلمة العفو في مثل هذه المواطن ثقيلة على النفوس الحرة، لا يطرب لها إلا المذنبون الضارعون، كالذي يقول: "رأيت العفو من ثمرة الذنوب"، وإذا كان العفو لا يكون إلا عن جان فإقراره إقرار للجناية، ومتى كان الفضيل جانيا حتى يعفى عنه؟ وحتى يكون العفو عنه مدعاة للسرور والابتهاج؟ وقد وقع لنا مثل ذلك مع الاستعمار، يظلمنا، ثم يبدو له فيقول: عفوت عنكم، فلا يكون أحزّ في نفوسنا من ظلمه إلا عفوه[2].

[2] أحمد طالب الإبراهيمي، نفس المصدر السابق، ج3، ص592.

المبحث الرابع: نشاطه الإصلاحي في بلدان أخرى:

لم يقتصر النشاط الإصلاحي للورثيلاني بالجزائر وفرنسا واليمن فحسب، بل شمل أغلب بلدان التي زارها، الورثيلاني أينما حلّ وارتحل القضية الجزائرية حاضرة بوجدانه بصفة خاصة وأكيدة وقضية المغرب العربي المضطهد من طرف الاستعمار بصفة عامة، وتجسد هذا في أغلب محاضراته وندواته خاصة بالمشرق العربي باعتبار أن رابط القومية العربية يجمعنا ورابط الإسلام أقوى من ذلك، وقد كانت نشاطاته الإصلاحية في هاته البلدان على النحو التالي:

أ)- نشاطه في سوريا 1946م:

كانت وجهت الورثيلاني عام 1946م إلى الأراضي السورية حيث التقى خلال هذه الزيارة برئيس الجمهورية السورية شكري القوتلي[1]، وقام خلالها بزيارة نادي الإخوان المسلمين في العاصمة دمشق أين ألقى هذا الأخير محاضرة قيمة هنّأ من خلالها الشعب السوري بجلاء الجيوش الفرنسية من أراضيه وأكده حول الجلاء الفرنسي بنحن نريد جلاء القوات الفرنسية من كل الأراضي العربية التي وقعت تحت سيطرة الاحتلال الفرنسي، وكذلك حقر الحاضرين من خلال محاضرته التي بنيت على فكره الدعوي والإصلاحي معلنًا الجهاد ونصرة القضية الجزائرية ماديا ومعنويا، وهذا ما زاد الحماس والهتافات التي أخذت تعلو لنصرة الجزائر وشعبها المناضل[2]"، وأنهى كلمته بتلاوة برقية ترسل باسم الحاضرين إلى الأمين العام للجامعة العربية، وإلى وزير فرنسا المفوض في مصر، وهذا نصها: " الجماهير المحتشدة في دار الإخوان المسلمين لنصرة العروبة المجاهدة في شمالي إفريقيا تعلن استنكارها لسياسة فرنسا الغاشمة في ذلك القطر العربي الشقيق وتحيي جهادهم وثباتهم على الدفاع عن حريتها وكرامتها وتعاهد الله بان تربط مصيرها بمصير إخوانهم. وتتوجه إلى الجامعة العربية، وملوك العرب ورؤسائهم

[1] ثعبان حسب الله علوان الشمري، نفس المرجع السابق، ص490.

[2] تعبان حسب الله علوان الشمري، نفس المرجع السابق، ص491.

بالمطالبة برفع الظلم عن ذلك الشعب المناضل، حتى يضم إلى دول الجامعة وينعم بجلاء الأجانب عن أوطانهم جلاء تاما لا يشوبه احتلال[1]".

وتوجت زيارة الورثيلاني إلى سورية بلم الشمل والتذكير لأبناء العرق الواحد بضرورة التكتل والوحدة لأجل الوقوف في وجه الاستعمار الغاشم وكانت له محادثات مع رئيس الوزراء بمكتبه، وشرح الطرفين ما يجب عمله لدعم التضامن، وجعل الوحدة العربية وحدة حقيقية ترضي مطامح العرب وتحقق أهدافهم وقد أدلى رئيس الوزراء السوري بكلمة حول هذا الشأن منشورة في كتابه الجزائر الثائرة يذكر فيها بضرورة الوحدة وشد الصف وكسب التأييد للعرب والشمال الإفريقي بصفة عامة، لطالما ربط الشيخ الفضيل الورثيلاني قضية بلاده بقضية سوريا ولبنان باعتبار أن الاستعمار الفرنسي هو العدو المشترك، وكان لا يترك أي فرصة دون أن يتكلم في قضية الجزائر ويدعوا الناس بالاهتمام بها، ويضيف توفيق محمد الشاوي أن للورثلياني الفضل في أنه لفت نظرنا جميعا إلى هذه القضية وقد زادت حماسته في هذا الميدان في الحرب العالمية الثانية عندما أنشأت الجامعة العربية واهتمت بمشكلة سوريا ولبنان التي كانت باكورة نشاط الجامعة العربية بعد إنشائها[2].

ب)- نشاطه في العراق 1947م:

قام الورثيلاني من خلال نشاطه الدعوي الإصلاحي إلى العراق عام 1947م وذلك لعرض وجهة نظره حول أقطار المغرب العربي والحصول على المعونات المادية والمعنوية ويبن طبيعة السياسة الفرنسية بأنها سياسة ذو عقلية تقوم على الاستعباد والنهب والتسلط على رقاب الشعوب ولا تؤمن بحرية و كرامة الأمم والشعوب التي تتطلع نحو الاستقلال.

1 الفضيل الورثيلاني، نفس المصدر السابق، ص351، 352،353.

2 توفيق محمد الشاوي، "مذكرات نصف قرن من العمل الإسلامي (1945-1995م)"، د.ج، ط1، دار الشروق، القاهرة، 1958م، ص23.

وتحدث الشيخ حول الفكر القومي المستنبط من فكره الدعوي الإصلاحي ولاسيما في بلاد المغرب العربي، كما أكد حول القواسم المشتركة بين أبناء المشرق والمغرب العربيين وأنهما تربطهما الروابط الإسلامية والعربية والتاريخ والمصالح المشتركة، وأمضى قائلا:« لقد سعدت بالحضور إلى بلادكم العراق الذي هو بلدي لأتحدث إليكم عن بلدي المغرب الذي هو بلدكم، وفي اعتقادي أن الشعب العراقي المعروف بالكفاح في جميع أطوار حياته في غير حاجة إلى الكثير من الكلام، لكون حساسيته بالواجب، واعتياده سرعة الاستجابة الداعية للتغيير».

وقد دارت بينهما محادثات تخص مصالح وقضايا الشعبين، ووعده رئيس الوزراء باستجابة مطالبه ووعده بقبول عدد من طلاب المغرب العربي للدراسة في المعاهد والكليات العراقية وتقديم لهم كل وسائل الدعم والتسهيلات[1].

وقد خطب الورثيلاني في حفل بحضور وزير خارجية العراق فاضل الجمالي وعدد من أعضاء مجلس الأمة، وممثلو الأحزاب، وأوضح من خلال خطبه ما يجابهه المغرب العربي ولاسيما الجزائر من أساليب تعسفية من فرنسا واندماج لأبناء شعبنا في الجزائر.

كما سبق وذكرنا الورثيلاني دوما حامل لقضيته الأولى والعادلة القضية الجزائرية التي لا يخلو قطر أو شبر زاره إلا وتحدث عن ما تعانيه الجزائر تحت وطأة الاستعمار الأجنبي وشعوب المغرب العربي والعالم الإسلامي من تدنيس لمقدساتها وأعراضها وأملاكها، وحتى على وجوب الوقوف صفًا واحدًا ومساندة بعضنا البعض لرفع الظلم.

ج)- نشاطه في لبنان 1948-1955م:

إن زيارة الورثيلاني إلى لبنان في المرة الأولى كانت برية، وكانت لغرض التخفي والابتعاد عن أعين متابعيه، نظرا لأن سنة 1948م شهدت فشل الثورة اليمنية، وفي هذا الشأن يقول يحيى بوعزيز عن حال الورثيلاني قائلا: « وبعد فشل الثورة أفلت الشيخ الفضيل

[1] ثعبان حسب الله علوان الشمري، مرجع سابق، ص490 - 491.

الورثيلاني إلى مركب بحري مع رفيق له هو الدكتور مصطفى الشكعة المصري وقضيا عليه شهرين كاملين يذرع بها البحر الأحمر والبحر الأبيض المتوسط بحثا عن مكان للجوء، ولكن البلدان العربية أغلقت حدودها لتعاطفها مع أسرة حميد الدين، حتى إن وافق المرحوم رياض الصلح رئيس وزراء لبنان على لجوئه إلى لبنان بصفة متخفية، وغير رسمية تجنبا للمشاكل والمضايقات العربية والأوروبية[1].

وقد ذكر هذا كذلك رفيق سنو الذي يكن كل الخير والتقدير للورثيلاني، وحكى عن ماعانه هذا الأخير على ظهر الباخرة رفقة أخيه رشيد سنو، وهو يتنقل في البحار، وأبواب الدنيا موصدة جميعا في وجهه، والحاكمون بأمرهم والمستعمرون يلاحقونه بأراجيفهم، ويطاردونه في كل مكان، حيث حكى رشيد سنو لأخيه عن شخصية الورثيلاني باعتباره أن رشيد سنو كان مندوبًا رسميًا عن الحكومة اللبنانية آنذاك، وبما أن رياض الصلح بك قبل إقامة الورثيلاني شرط أن يظل وجوده بلبنان مجهولا لا يعرفه إلا الحكام[2].

وقد قيل أن جماعة الإخوان المسلمين هي من اتفقت مع رياض الصلح لأجل مكوث الورثيلاني بلبنان، وفي هذه المناسبة التقى رفيق سنو بالورثيلاني وربط صلاته الوثيقة به، وقويت علاقتهما بجمعية عباد الرحمان التي تكن كل الخير والأثر الطيب للورثيلاني وتعتبره من علماء العالم الإسلامي الأجلاء، أما الزيارة الثانية العلنية للورثيلاني للبنان التي تبدأ من (1955-1957م) حيث بعد ما أكمل نشاطه في أرض الكنانة مصر انتقل إلى بيروت واتخذها مقر المواصلة نشاطاته على الصعيد الشعبي والرسمي، فقد كان لا يترك فرصة إلا وحث على مساعدة ودعم الثورة التحريرية الجزائرية ماديا ومعنويا، حتى تمكنت من نيل استقلالها وتقضي

[1] يحيى بوعزيز، نفس المرجع السابق، ص190.

[2] الفضيل الورثيلاني، مصدر سابق، ص ص 358،359.

على الهيمنة الفرنسية[1]، وأثناء إقامته هناك وطد علاقته بجماعة عباد الرحمان وطلب الدعم والمساندة للقضية الجزائرية.

وقد قال رفيق سنو عن آلام وأمال الورثيلاني حول جمع وكسب المساندة للجزائر بقوله: "حضرت كثيرا من مجالس الورثيلاني مع رجال السياسة ابتداءا من رئيس الجمهورية إلى رؤساء الوزارات إلى النواب والصحفيين فكان في كل ذلك محل إكبار وإعجاب.

وتستوقفني منه ظاهرة ملازمة له، وهي وفائه لوطنه الأول الجزائر، والمغرب العربي ولم أسجل له يوما العجز عن خلق الفرصة للتحدث عن ألام وطنه وآماله والدعوة إلى نصرته ضد الاستعمار المتحكم فيه".[2]

كما تمكن الورثيلاني أيضا في إطار نشاطه هناك أن يكتب الكثير من المقالات في مختلف الصحف و المجلات، وفي إحدى مقالاته التي ينادي فيها إخوانه وأشقائه العرب لدعم ومساندة الجزائر وقد كان ندائه على النحو التالي: « إننا اليوم مضطرون كل الاضطرار لنعلن عتبنا الشديد على إخواننا العرب لأننا نفتقر إلى القليل من المال الذي ينفقونه في الكليات وقد يكفينا لنحرر به أنفسنا من الاستعباد ونحن حينما نطالبهم بذلك فلا نشعر مطلقا بأننا متسولون أو أنهم يد عليا ونحن يد سفلى ولأننا نطالب بالحق أولا ولأن هذا الحق ثانيا، سيكون دينًا علينا نرده إليهم في القريب"[3].

[1] فتيحة الغربي، "الفضيل الورثيلاني ودوره في دعم القضية الجزائرية بالمشرق العربي (1906-1959م)"، مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر أكاديمي في التاريخ، تخصص: وطن عربي معاصر، إشراف: أبو بكر الصديق حميدي، جامعة محمد بوضياف، المسيلة، كلية: العلوم الإنسانية والإجتماعية، قسم: التاريخ، 2018-2019م،ص64،63.

[2] – محمد الصالح الصديق، مرجع سابق، ص120.

[3] فتيحة الغربي، نفس المرجع السابق، ص64.

د)- نشاطه في باكستان 1952م.

لقد زار الورثيلاني الدولة الباكستانية، وحضر خلال زيارته ثلاث مؤتمرات إسلامية دولية عالمية، وأنتخب عضوا أساسيا وبارزًا وهي: المؤتمر الإسلامي العالمي، ومؤتمر علماء الإسلام، ومؤتمر الشعوب الإسلامية، وانتدبه الأولان رسميًا للقيام برحلة عالمية لشرح مقرراتها[1].

وقد تمكنت الجمعية عن طريق الورثيلاني من إجراء اتصالات بالأحزاب المراكشية لحزب الاستقلال المراكشي، وحزب الوحدة المغربية، أين وصلت العلاقة بين الداعية الفضيل وتلك الهيئات السياسية المغربية إلى حد تكليفه بمهام سياسية خارجية، إذ كلفه علال الفاسي(*) زعيم حزب الاستقلال المراكشي بجلب التأييد والعون هنا قبل الحكومة الباكستانية كحكومة إسلامية، إلى مراكش لدرء محاولات فرنسا خلع السلطان محمد الخامس والقضاء على الحركة الاستقلالية المراكشية، كما كلفه كذلك علال بنفسه المهام إلى رئيس وزراء أندونسيا وقتذاك محمد نصر لفبراير 1951م[2].

وقد انتهز الفضيل فرصة وجوده في باكستان، والتقى بالعديد من رجال الدين الذين سمعوا منه عن جمعية العلماء الجزائرية بدليل أنهم دعوه لحضور مؤتمر العلماء المسلمين الذي

---

1 - يحيى بوعزيز، مرجع سابق، ص200

(*)- علال الفاسي، ولد في مدينة فاس سنة 1910 ودرس في جامعة القرويين، تزعم النواة الأولى للعمل الوطني في فاس، تصدر حركة الاحتجاج ضد الظهير البربري، كانت له علاقة وثيقة بالأمير شكيب أرسلان، أنتخب في نهاية 1936م رئيسا لكتلة العمل الوطني، وقف بحماس إلى جانب الثورة الفلسطينية وظل يواكب مختلف التطورات الفكرية إلى جانب مهامه في رئاسة حزب الإستقلال ونشاطه في التدريس الجامعي إلى أن وافته المنية وهو ضيف على رومانيا في ماي 1974م. ينظر مومن العمري، شعار الوحدة ومضامينه في المغرب العربي أثناء فترة الكفاح الوطني، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراء العلوم في التاريخ الحديث والمعاصر، إشراف: عبد الكريم بو الصفصافي، جامعة منتوري، قسنطينة، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، 2009-2010، ص ص 122، 123.

2 نبيل أحمد بلاسي، " الاتجاه العربي والإسلامي ودوره في تحرير الجزائر، د.ج، د.ط، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1990م، ص 83،84.

انعقد في باكستان يوم 27 مارس سنة 1953 كمندوب عن الجزائر، بل وصلت مكانته إلى حد انتدابه مندوبا عن المؤتمر إلى كافة الهيئات والجماعات الإسلامية في العالم[1].

وقد كانت للورثيلاني اتصالات واسعة مع الحكومة الباكستانية حيث بعث لها رسالة يحثها على إقامة دستور إسلامي، وقد نشرت هذه الرسالة في جريدة البصائر، قام خلالها، الفضيل بشرح أصول الدستور الإسلامي واضطلاعه بالحياة السعيدة لتكون قدوة لغيرها، بيّن لها ما يجب عليها من حقوق للشعوب الإسلامية الضعيفة والمستعمرة[2].

أغلب زيارات الورثيلاني التي قادته لأكبر العواصم والدول كانت لأجل الإصلاح ورفع الفساد بشتى أنواعه، والتعريف بقضية وطنه الجزائر الصغير والمغرب العربي الكبير والعالم الإسلامي الأكبر، لم ينتقل الورثيلاني إلى دولة إلا وبدأ ويكرر آلام وأمال أمته ويصلح فيها ما يمكن إنقاذه.

[2] خولة خلدون، سعيدة أسعيدي، نفس المرجع السابق، ص43.

خلاصة الفصل:

نستنتج أن مجهودات الورثيلاني في المجال الإصلاحي كانت كبيرة جدا، من خلال أعماله الجليلة التي لا ينكرها إلا جاحد ومنكر للجميل، وأن البدايات الأولى بالجزائر كانت تحت لواء جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ثم فرنسا التي فتح فيها العديد من النوادي ثم تلتها العديد من دول المشرق العربي كسوريا عام 1946م والعراق 1947م ولبنان 1948م ونلاحظ مما سبق أن الورثيلاني تعرض لمخاطر كبيرة كادت تؤدي به إلى فقدان حياته، كالذي حدث له من جراء زيارته لليمن 1948م واتهامه بمقتل الإمام يحيى حميد الدين وبقائه على متن باخرة مدة شهرين والكل يرفض استقباله، لولا أن كتب الله النجاة والعيش، سار الورثيلاني في هذا المجال الحافل بالانجازات المثمرة، كما أنه مليء بالمخاطر والمتاعب و المشاق.

الفصل الثالث
جهوده في المجال السياسي

يتناول هذا الفصل جهود الفضيل الورثيلاني في المجال السياسي بداية بدوره في مجال التنظيمي واستئناف عمله السياسي بمصر وأهم الهيئات التي ساهم في تأسيسها وموقفه من حوادث أو بالأحرى مجازر الثامن من ماي 1945م التي تركت وقعا أليما في نفوس الجزائريين عامة ثم مساهمته إبان الثورة التحريرية الجزائرية 1954م وأخيرا موقفه من القضية الفلسطينية.

المبحث الأول: دوره في المجال التنظيمي:

في أواخر 1938م و بداية عام 1939م، قصد الورثيلاني مصر، عندما اشتدت عليه المضايقات الفرنسية، و بدأت الح ع2 تلوح في الأفق، فما كان منه إلا النجاة بنفسه لإكمال مشوار نشاطه، وقد كانت مصر مهدًا لاستئناف نشاطه السياسي، والعمل الدئوب لصالح القضية الجزائرية، وقضية المغرب العربي ككل، وجميع القضايا العادلة في العالم، حيث وجد الورثيلاني بمصر المناخ المناسب للنشاط الإسلامي، لأنه قد سبقه إلى زيارتها شيخه ابن باديس قبل ربع من الزمن، والتقى علمائها من أمثال الشيخ محمد بخيت المطيعي(*) مفتي الديار المصرية آنذاك، والشيخ أبي الفضيل الجيزاوي(*) الذي صار فيما بعد شيخا للأزهر، وكان الإمام حسن البنا شديد الإعجاب بابن باديس، حيث إنه عندما أسس مجلة فكرية أسماها (الشهاب) تيمنا بمجلة الشهاب الجزائرية، سهلت هذه العلاقة الروحية بين الحركتين الإسلاميتين الإخوان المسلمين بمصر وجمعية العلماء بالجزائر الطريق للفضيل بالاتصال بالإخوان[1]، وقد

(*)-محمد بخيت المطيعي، ولد في مدينة أسيوط عام 1856م، تعلم القراءة والكتابة على يد كتاب مدينته، حفظ القرآن الكريم، والتحق طالب بالأزهر عام 1868م، وتتلمذ على يد كبار المشايخ منهم الدمنهوري والمهدي وغيرهم، وأصبح بعد ذلك مفتي الديار المصرية من (1915-1920) توفي عام 1935م، ينظر، ثعبان حسب الله علوان الشمري، المرجع نفسه، ص496.

(*)- الشيخ أبي الفضيل الجيزاوي، ولد بقرية أوراق الحضر إحدى القرى في محافظة الجيزة عام 1874 وتلقى تعليمه في الأزهر على علماء أجلاء أمثال الشيخ العروي، وتولى الجيزاوي مشيخة الأزهر عام 1917م، كما عاصر أحداث الثورة المصرية 1999م، وتوفي في عام 1927م، ينظر، ثعبان حسب الله علوان الشمري، المرجع السابق، ص496.

[1] عبد الله تق، مصطفى مشهور وآخرون، المصدر السابق، ص693.

[2] محمود عبد الحليم، المصدر السابق، ص402.

كان هذا الأخير كثير التردد على المركز العام للإخوان المسلمين باعتبار أن هذا المركز هو من أهم مراكز الحركات التحريرية ضد الاستعمار في كل بلد إسلامي[1].

يعتبر الورثيلاني بعد شيخه–ابن باديس الزائر لمصر قبل ربع قرن من الزمن– أول من تعاون وانضم إلى الإخوان المسلمين من رجال الكفاح الوطني من شمال إفريقيا، حيث أصبح عضوا هاما في قسم الاتصال بالعالم الإسلامي، ويقول توفيق محمد الشاوي في هذا الشأن: " أنه كان كثير النشاط مهتما بالدعاية لقضية الجزائر وشمال إفريقيا الخاضعة للاحتلال الفرنسي، وكان لا يترك أي فرصة دون أن يتكلم في قضية الجزائر بالذات ويدعو الناس للاهتمام بها، وكان له الفضل في أن لفت نظرنا جميعا إلى هذه القضية".[2]

لقد عمل الورثيلاني كل ما بوسعه لأجل خدمة القضية الجزائرية والمغاربية بصفة عامة، حيث لم يكتف بالمحاضرات التي كان يلقيها في مختلف الأندية والمؤتمرات ولا بمقالات يديعها في مختلف الصحف والمجلات بل كان يتبع القول بالفعل، ومن هنا جنّد كل إمكاناته ومواهبه في تأسيس الهيئات والمنظمات التي حملت على عاتقها مهمة الدفاع عن الجزائر وعن كفاح المغرب العربي ككل[3]، فكان من ضمن هاته المنظمات ذات الطابع السياسي التحريري ما يلي:

1)– اللجنة العليا للدفاع عن الجزائر التي أسست بتاريخ ذي القعدة 1362هـ (1942م).

2)– جمعية الجالية الجزائرية التي أسست في نفس العام، وحول هاتين الجمعيتين تحدث الأمير مختار الجزائري(*) الذي يعتبر أحد الأعضاء المؤسسين والبارزين فيها قائلا: " فأسسنا جمعية الجالية الجزائرية، وأسسنا اللجنة العليا للدفاع عن الجزائر اشترك في عضويتهما أعظم الشخصيات العربية من جميع الأقطار، فاتصلنا بجميع الحكومات العربية وملوكها وأمرائها وهيئاتها وأحزابها وجرائدها، كما اتصلنا بجميع الدول المتحالفة عن طريق المذكرات والتلغرافات

[2] توفيق محمد الشاوي، المصدر السابق، ص23.

[2] محمد الصالح الصديق، المرجع السابق، ص115.

والمقابلات والمحاضرات، واستطعنا كذلك أن نتصل بالوطن عن طريق بعض المنشورات والقصاصات والرسائل الخاصة على أشدها، فصادفنا العقبات ما لم تستطيع تلاقيه إلا بشيء كثير من الصبر والمصابرة، وكان العزاء لنفوسنا ما كنا نلمسه من آثار محسوسة لهذه الأعمال المتواضعة"[1].

3)- تأسيس جبهة الدفاع عن إفريقيا الشمالية والتي تأسست بدورها في 18 فبراير 1944م، وأسندت رئاستها إلى الشيخ الخضر حسين(*) الجزائري الأصل، وتولى الورثيلاني منصب الكاتب العام فيها، وقد ضمت هذه الجبهة مجموعة من الأعضاء منهم: الدكتور محمد عبد السلام العيادي، وأحمد نجيب بك برادة، والحاج أحمد بن قايد، ومصطفى بك بيرم، والشيخ إبراهيم أطفيش، والشيخ إسماعيل علي، والشيخ السعدي عمار، والحاج اليمني الناصري، والأستاذ أبو مدين الشافعي، وأحمد بن المليح، وحمود بن قايد، وأحمد السعدي، ومحسن بيرم، والأمير مختار الجزائري وغيرهم[2]، وقد كان لهاته الجبهة أغراض ومواد تحدد مهامها، وقد كانت على النحو التالي:

مادة (1)- في يوم أول ربيع الأول سنة 1364هـ الموافق ل18 فبراير سنة 1944 ميلادية تألفت هيئة في القاهرة تسمى (جبهة الدفاع عن إفريقيا الشمالية).

مادة (2)- أغراض الجبهة- السعي بالطرق المشروعة لتحقيق حرية واستقلال شعوب إفريقيا: (تونس،الجزائر، مراكش)- السعي لضم هذه الشعوب إلى الدول العربية.

(*)- الأمير مختار الجزائري، من عائلة الأمير عبد القادر الجزائري وابن الأمير عبد العزيز بن الأمير حسن الجزائري شقيق الأمير عبد القادر، وكان يقيم في بيروت في ثلاثينيات القرن العشرين ثم انتقل إلى القاهرة لعائلته وهو رئيس اللجنة العليا للدفاع عن الجزائر 1942م. ينظر، فتيحة الغربي، نفس المرجع السابق، ص32.

[1] يحيى بوعزيز، المرجع السابق، ص183.

(*)- محمد الخضر حسين، عالم تونسي من أصول جزائرية نشأ في تونس ودرس في الزيتونة والأزهر ناضل من أجل تحرير تونس والجزائر وعمل على جمع كلمة المناضلين المغاربة في مصر، تولى مشيخة الأزهر الشريف. ينظر، خولة خلدون، سعيدة أسعيدي، نفس المرجع السابق، ص17.

[2] الفضيل الورثيلاني، المصدر السابق، ص ص271،272.

مادة (3)– دستور الجبهة (التضامن وتحرير العصبيات).

مادة (4)– تسعى الجبهة لتحقيق أغراضها بالوسائل المشروعة كإنشاء صحف وفتح أندية وإيجاد شعب لها في مصر وخارجها، إذا اقتضى الحال ذلك.

وعن الأعمال الجليلة التي حققتها هذه الجبهة يقول الأمير مختار الجزائري: " وأثر مساعيها في كل مجال محسوسا، وكان أكبر نشاطها مع الدول العربية وشعوبها ومع دول الأمم المتحدة وشعوبها، تقدم المذكرات وترفع الاحتجاجات وتنور الأذهان بالخطب والمقالات، وتتصل بالهيئات والأندية والشخصيات وتتابع بعناية كبيرة النشاط الذي يقوم به رجال الوطن في البلد، وتعمل على إذاعته حسب المناسبات"[1]، وبحكم منصب الورثيلاني في الجبهة كأمينا عاما، قام بنشاط مكثف حيث كتب عشرات المقالات، والرسائل، والبرقيات، إلى الملوك والرؤساء، والأمراء والجامعة العربية وأمينها العام، والأمم المتحدة، والهيئات الدولية المختلفة، للتنديد بجرائم فرنسا بالجزائر والتعريف بالقضية الجزائرية، وكل شعوب الشمال الإفريقي[2]، حيث نادت الجبهة بالاستقلال التام الذي لا تزييف فيه ووحدة كاملة شاملة لا نقص فيها، أبلت الجبهة البلاء العظيم في سبيل تنمية روح الاستقلال والوحدة في نفوس أبناء المغرب العربي عامتهم وقادتهم، حيث خفت روح الإقليمية حتى كادت تحتفي تماما[3]، حيث لطالما نادت الجبهة بهدفها الأول الذي أنشئت من أجله والذي جاء فيه «... أما هدف الجبهة فهو استقلال أقطار المغرب كلها استقلالا تاما في وحدة كاملة والانضمام لجامعة الدول العربية، والعزم معقود على مواصلة العمل لإدراك يوم النصر الحقيقي ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله، والله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم».

---

[2] الفضيل الورثيلاني، المصدر السابق، ص ص278، 300.

[2] مومن العمري، نفس المرجع السابق، ص167.

[3] الفضيل الورثيلاني، المصدر السابق، ص280.

وقد سعى الورثيلاني من خلال ج.د.إ.ش في لم ممثلي الأحزاب المغاربية كحزب الشعب الجزائري والحزب الدستوري التونسي وحزب الاستقلال المغربي للعمل في مسار واحد، والاستفادة من الجامعة العربية، وعدم الرجوع إلى الخلافات الحزبية الداخلية ومشاكل القيادة التي ساهمت في تشتت أبناء الوطن الواحد، حيث ذكرتهم أعمالهم داخل جبهة الدفاع عن إفريقيا الشمالية لهدفهم الواحد والوحيد وهو الاستقلال ونيل الحرية، والتخلص من وطأة الاستعمار، حيث يقول علال الفاسي: " لما كانت شعوب إفريقيا متجهة نحو وجهة واحدة لمحاربة الاستعمار بجميع أنواعه والسير نحو الاستقلال وتثبيت السيادة الوطنية والعمل على وحدة الشمال الإفريقي في دائرة الجامعة العربية، وأراد ممثلو الهيئات السياسية الموقعة على الميثاق أن يخرجوا من هذه الوجهة من حيز النظر والعاطفة إلى حيز العمل راجين من المولى تعالى أن يسدد خطاهم ويبلغ مناهجهم"[1]، ومن هنا نرى أن جبهة الدفاع عن إفريقيا الشمالية حققت مجموعة من الأهداف، وهذا بنظام مجهودات أولئك الرجال المخلصين الذين عملوا بكل جد وإخلاص (كالورثيلاني) وغيره كثيرون رغم بعده عن وطنه إلا أن قضية الوطن العربي كانت شغله الشاغل و همه الأكبر.

وقد كان لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين نشاط داخل الجبهة مكثف حيث ضمن جبهة الدفاع عن إفريقيا الشمالية شكل الوفد الخارجي الجزائري، لجبهة التحرير الوطني إبان الثورة التحريرية، وقد ضم كل التيارات الوطنية، وقد شاركت الجمعية بوفد مثله الإبراهيمي وأحمد توفيق المدني، وعن حركة الانتصار مثلها أحمد بن بلة ومحمد خيضر وحسين آيت احمد وعن الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري مثله إبراهيم بيوض[2].

[1] – علال الفاسي، "الحركات الاستقلالية في المغرب العربي"، مؤسسة علال الفاسي، د.ج، ط6، الدار البيضاء، 2003م، ص486.

[2] – محمد خيشان، مهام الوفد الخارجي لجبهة التحرير الوطني بالقاهرة (1947–1957)، رسالة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، إشراف: شاوش حباسي، جامعة الجزائر، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ،2001–2002، ص42.

موقفه من مجازر 8ماي 1945م:

حوادث الثامن ماي 1945م أو بالأحرى مجازر 8 ماي 1945م التي وقف منها كل جزائري وجزائرية، وكل شخص عادل في العالم أجمع مندهشا جراء هذا التصرف القمعي الوحشي الذي صدر من دولة تدعي الديمقراطية في العام وبالرجوع إلى حيثيات هذه الحادثة فان أبو القاسم سعد الله يقول في هذا الشأن أن " أصول هذه الحادثة ترجع إلى إنشاء أصدقاء البيان والحرية(*) وما تلا ذلك من نشاط ودعاية ويقظة وطنية، فقد أدى ذلك إلى اتصالات علنية وسرية بين قادة الحركة الوطنية، وإلى محاولة تكوين جبهة متحدة للوصول إلى تحقيق أهداف البيان المعلنة في ملحقه والمؤجلة إلى ما بعد الحرب[1]، هذا الفعل أثار تخوف فرنسا، ومنحها فرصة قمع وحشي أسفر عن قتل ما يقارب 45 ألف جزائري، وحل منظمة أحباب البيان وإلقاء القبض على زعماء الحركة الوطنية ومناضليها في 10 ماي 1945[2]، وقد كان الورثيلاني شديد الانزعاج والقلق وهو يتابع عن كثب كل ما يجري بالجزائر، حيث كتب ما يقارب عن 18 رسالة موجهة إلى سفير فرنسا بالقاهرة منذ بداية هذه المجازر التي ارتكبها الفرنسيون سنة 1945، وكانت والله يشهد أفضع ما يمكن أن يتصوره المرء في عالم الارهاب و الهمجية، وكانت والله يشهد أفظع ما يمكن أن يتصوره المرء في عالم الإرهاب والهمجية[3].

وقد أصدر الفضيل يبانا عن الجبهة في 1945 ومما جاء فيه «إن القطر الجزائري لشقيقته تونس والمغرب، يعيش اليوم في موجة من الاضطهاد لا يكاد الإنسان يجد لها نظير في تاريخ البشرية العاقلة فلقد عبأ المستعمرون هناك كل ما يملكون من قوة ومكر ضد الأهالي

(*)– أصدقاء البيان والحرية، كان عبارة عن جبهة مكونة من متحالفين أكثر منه حزبا سياسيا متماسك الإيديولوجية والعضوية، وقد تألف في شهر مارس 1944م بمدينة سطيف وقد كان فرحات عباس كاتبه العام. ينظر، أبو القاسم سعد الله، المرجع نفسه، ص228.

1 أبو القاسم سعد الله، تاريخ الحركة الوطنية الجزائرية، نفس المرجع السابق، ص227.

2 – مبروك بلحسن، المراسلات بين الداخل والخارج 1954–1956، دار القصبة، د.ط، الجزائر، 2004م، ص 25.

3 (منال السعيدي، حورية سيف، "الفضيل الورثيلاني في المشرق العربي (1940–1955م)"، مذكرة تخرج لنيل شهادة الماستر، التخصص: تاريخ حديث ومعاصر، إشراف: حبيب قدومة، جامعة الجيلالي بونعامة، خميس مليانة، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، قسم: العلوم الإنسانية، شعبة التاريخ، 2015–2016م، ص18.

العرب العزل مستخدمين في تعذيبهم لقتل الروح الوطنية والاستقلال كل أدوات الحكم العسكري من أحكام عرفية وإيقاف كل المطبوعات ومنع كل الاحتجاجات.....»، وقد علقت عليه السلطات الاستعمارية في معظم صحفها ومنها صحيفة "le monde" الفرنسية للتقليل من قيمته داخل الجبهة ومن منصبه كأمين عام فقط داخلها كل هذا الشيء من عزيمته، وهذا يدل أنه شكل إزعاج كبير في ردوده ومواقفه اتجاه كل ما تقوم به السلطات الاستعمارية في البلاد، وقد طالب الورثيلاني أثناء البيان بتشكيل لجنة دولية من الحكومات العربية والأمم المتحدة للذهاب إلى الجزائر لإجراء تحقيق مفصل عن ما يجري بالجزائر.

وقد أسس الورثيلاني في إطار نضاله من أجل قضايا المغرب العربي عامة والقضية الجزائرية خاصة لجنة المغرب العربي في 5 جانفي 1948 بمشاركة مولود قاسم، والشاذلي المكي، ومحمد خيضر، وأحمد بن بلة، وعبد الكريم الخطابي وساهموا في تأسيس هذه اللجنة في 5 جانفي 1948، واتفقوا على إستراتيجية تقوم عليها اللجنة لصالح القضية الجزائرية وتونس والمغرب، وقد هم الورثيلاني إلى عقد الندوات والمحاضرات المتعددة لشرح واقع يوميات الجزائر الإسلامية تحت سير الاستعمار[1].

أما عام 1949م فقد استطاع أن يؤسس الورثيلاني مكتبا يحمل اسم مكتب جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، ومن خلال ذلك المكتب انطلق صوت الجزائر إلى الدول العربية والإسلامية، فكان للورثيلاني اتصالات واسعة بالعديد من الشخصيات العلمية والسياسية بهدف التعريف بالقضية الجزائرية وقضاياها وإقناعها بضرورة مد يد العون والمساعدة لإخوانهم الطلبة الجزائريين الذين سيأتون لاستكمال دراستهم فلبت الدعوة واستجابت للنداء وتوالت البعثات العلمية الواحدة تلوى الأخرى، تحت إشراف المكتب[2].

[1] فتيحة الغربي، المرجع السابق، ص ص36،37.

[2] فتيحة الغربي، المرجع نفسه ، ص40.

وبعد كل هذه المجهودات الجبارة التي قام بها الورثيلاني سواءًا في إطار جبهة الدفاع عن إفريقيا الشمالية أو في إطار هيئات أخرى لمكتب جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، غادر الورثيلاني مصر، ولم يعد إليها إلا بعد خمس سنوات من الغياب، حيث بعد تسليم الضباط الأحرار وعلى رأسهم اللواء محمد نجيب بالإطاحة بالملك فاروق، عاد الورثيلاني إلى مصر، ولقي ترحيبا كبيرا من قبل العلماء والسياسيين وخصصت له مجلة "الدعوة" لسان حال الإخوان المسلمين بمصر حوارا شاملا نشرته في عددها السابع والثمانين كما حياه الأديب الإسلامي الكبير الشاعر علي أحمد باكثير بقصيدة جاء فيها:

أفضيل هاذي مصـر تحتفـل بلقـــــاك فانعم أيها البطـــل

أمسيـــت لا أهـــل ولا وطـن وغـدوت لا سفـر ولا نـــــزل

لـم تقترف جرمـــا تدن بـــه كـــــلا ولكن هكـــذا البطـل

إن الفســـاد إذ اعتـرى بلـــدا فالمجرمـــون به هم الرســـل[1]

بقي الورثيلاني بمصر إلى غاية اندلاع الثورة التحريرية الجزائرية وعمل على تأييدها بمنشورات ومقالات تساهم في انتشارها و" لكن السلطات المصرية لم تكن مرتاحة له حسبما أكده السيد فتحي الديب رئيس قسم المخابرات المصرية لصلته بجماعة الإخوان المسلمين والذين اصطدمت بهم الثورة المصرية، وذلك لأن الإخوان يصرون على ضرورة تطبيق الشريعة الإسلامية، وقد تماطل قادة في ذلك، مما أدى إلى إعدام البعض منهم، مما اضطر الورثيلاني أن يغادر مصر نهائيا ويلتحق ببيروت ويواصل نشاطه بالإمكانيات المتوفرة[2].

[1] عبد الله العقيل تق، مصطفى مشهور وآخرون، المصدر السابق، ص ص702، 703.

[2] يحيى بوعزيز، المرجع السابق، ص207.

المبحث الثاني: مساهمته في الثورة التحريرية الجزائرية 1954م:

ما انطلقت الثورة التحريرية الجزائرية حتى بادر الورثيلاني في دعم وحشد جهوده من أجل كسب الرأي العام الدولي وحشد صفوفهم اتجاهها من أجل إنجاحها ونيل الحرية والاستقلال، حيث نشر الورثيلاني مقالا بتاريخ الثالث نوفمبر 1954م بعنوان: (إلى الثائرين من أبناء الجزائر: اليوم حياة أو موت)[1]، وبتاريخ العاشر نوفمبر1954م أصدر رفقة شيخه البشير الإبراهيمي بيانا بعنوان: (نعيذكم بالله أن تتراجعوا) وبتاريخ الثامن عشر فيفري 1955م شارك في تأسيس (جبهة تحرير الجزائر) التي تضم كل من الشيخ محمد البشير الإبراهيمي وممثلي جبهة التحرير الوطني من أمثال: أحمد بن بلة، وحسين آيت أحمد، ومحمد خيضر، وبعض ممثلي الأحزاب الجزائرية: كالشادلي المكي وحسين لحول، وعبد الرحمان كيوان، وأحمد بيوض وغيرهم[2].

كما وجه الورثيلاني نداءا إلى الشعب الجزائري المجاهد في الخامس عشر نوفمبر1954م، من مكتب جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في القاهرة يحي فيه كل الثائرين الأبطال، ويحث فيه على المواصلة وعدم التراجع، لأن التراجع معناه الفناء، ويذكرهم بجرائم وفظائع فرنسا ضد الإسلام والمسلمين[3].

" كما شارك الورثيلاني في تحرير البيان الذي أصدرته جمعية العلماء المسلمين الجزائريين تؤيد فيها اندلاع الثورة التحريرية[4]، لقد عمل بكل عزيمة من أجل كسب الدعم للثورة،

[1] – انضر الملحق رقم 02

[2] عبد الله العقيل، تق، مصطفى مشهور وآخرون، مصدر سابق، ص703.

[2] أحمد بن نعمان،" جهاد الجزائر حقائق التاريخ ومغالطات الإيديوجغرافيا"، ط2، دار الأمة، برج الكيفان، الجزائر، 1998، ص ص98،99.

[3] عبد القادر مولاي، نفس المرجع السابق، ص288.

والوقوف إلى جانب إخوانه حملة السلاح في الجزائر، حيث عمل في صفوف جبهة التحرير، فعمل في وفدها الخارجي بالقاهرة بهمة عالية، وجد وإخلاص لا يعرف ملاً.[1]

لقد كتب الورثيلاني الكثير من المقالات ليحشد ويدعم الثورة التحريرية الجزائرية، حيث ذكر أبناء العروبة والإسلام أينما كانوا بواجبهم اتجاه بلدان المغرب العربي ككل وضرورة الوقوف إلى جانبهم، في مثل هذه المواقف حيث يقول هذا الأخير في مقال بعنوان " حول ثورة الجزائر والمغرب العربي"، التي تضمن ثلاث صرخات، الصرخة الأولى موجهة إلى الآذان الصماء عن الحق كالإدارة الاستعمارية، والثانية موجهة إلى أبناء المغرب العربي كلهم الذين يحثهم فيها على العمل والاستمرار لأن مهر الحرية ثمنه غال، وأنه لا ينفذ إلا دماء تراق، ونفوسا تزهق، ويحثهم الورثيلاني مواصلا على توطين النفوس على تحمل الشدائد والمكاره، لأن وطنكم عزيز فعليكم بدفع الثمن الباهظ لتحريره.

ويحثهم الورثيلاني على الصبر حيث قال: أيها الأحرار: «اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون»، أما الصرخة الثالثة فقد وجهها إلى الشعوب العربية وحكوماتها يذكرهم فيها بواجبهم اتجاه إخوانهم في تونس والجزائر ومراكش، ويذكر بأن عدوهم هو عدوكم ويختم كلامه بقوله: «أنتم القادرون إن شاء الله على نجدة إخوانكم في موقفهم الفاصل، الذين هم فيه، وعارفون بوجوه النجدة، ولا تحتاجون –بحمد الله– إلى من يعرفكم بواجب، أو يدلكم على كيفية أدائه وإنما نحن مذكرون متألمون، وذكرى المتألم تنفع المؤمنين»[2].

قد جند الورثيلاني قلمه ولسانه المتين لإذاعة كل ما يجري من أحداث ضخام بأرض الوطن فأجرى بها أنهارا من الحبر لشرح حقائق هذا النضال الذي يخوضه شعب أعزل من

[1] عمر بن قينة، نفس المرجع السابق، ص46.

[2] أحمد طالب الإبراهيمي،" آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي" (1954–1964م)، ج5، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت (لبنان)،1997، ص ص45، 46.

السلاح مجردا من كل وسائل الدفاع سوى سلاح الصبر والإيمان، ولكنه قوي بإيمانه وواثق من نصره[1].

ومن خلال كل ما سبق ذكره، نرى أن الشيخ الورثيلاني لم يتردد قط في أي موقف يخدم وطنه الصغير الجزائر والوطن العربي والإسلامي ككل، حيث ما إن ألمت حادثة بوطنه إلا وتجده حاضرا بفكره وقلمه ودبلوماسيته مجندا كل ما يمكن لنصرة القضايا العادلة بالعالم، ونصرة قضية وطنه التي ما غابت عن وجدانه يوما.

ومن خلال المناصب التي تقلدها الورثيلاني خاصة بمصر وانضمامه إلى حركة الإخوان المسلمين ونتيجة لوزن الإخوان كقوة دينية لها ثقلها في وطنها الأول مصر، وثقلها على الصعيدين العربي والإسلامي، أهلته كل هذه الامتيازات من كسب التأييد المعنوي والمادي لثورة نوفمبر 1954م[2].

وفيما بعد من الرئيس جمال عبد الناصر الذي رافق الثورة منذ بدايتها من خلال التحضير" لإمدادها بالسلاح والذخيرة حيث يقول فتحي الديب في هذا الشأن:" وبادرنا على الفور بالتحضير لإمداد الثورة الجزائرية بالسلاح والذخيرة وقمت طبقا لتعليمات الرئيس عبد الناصر بصرف كميات من الأسلحة بأنواعها لأكدسها في مخزن، أنشأته بمبنى خاص بنا مراعيا السرية التامة بكل صورها"[3].

وعن استقبال وفد جمعية العلماء من طرف جمال عبد الناصر والذي كان يضم الشيخ الورثيلاني فقال أحمد توفيق المدني في هذا المقال ما يلي: نشرت البصائر العدد 290 الصادر يوم 20 أكتوبر 1954، ما يلي: « تفضل رجل الدولة وزعيم الثورة العظيم السياسي جمال عبد

[1] الفضيل الورثيلاني، مصدر سابق، ص42.

[2] نيل أحمد بلاسي، المرجع السابق، ص84.

[3] فتحي الديب، " عبد الناصر وثورة الجزائر"، د.ج، ط2، دار المستقل العربي، القاهرة، 1990 ، ص48.

الناصر رئيس حكومة مصر، باستقبال وفد جمعية العلماء المسلمين الجزائريين[1] الذي كان يشمل الشيوخ الأساتذة البشير الإبراهيمي الرئيس الأول، والعربي التبسي الرئيس الثاني، والفضيل الورثيلاني المعتمد الداعية العظيم، وأحمد بوشمال العضو الإداري. ورغم الأشغال العظيمة التي يكرس لها رجل مصر أوقاته والمشاكل الداخلية والخارجية التي يمارسها كل يوم، فقد استبقى الوفد عنده ما يزيد عن الساعة والنصف، تبادلت فيها بغاية الصراحة الأفكار والآراء حول المسائل التي تهم العالم الإسلامي عامة والتي تهم المغرب العربي والقطر الجزائري بصفة أخص، وكان الزعيم المصري العظيم يتدفق في كل مسألة بالبيانات الدقيقة والمعلومات المفصلة، حتى كأنه دائرة معارف حية، بارك الله في حياتهم الغالية، وفي جهوده المرفقة لخير مصر والعروبة والإسلام إلى أن قالت البصائر: "إن الرئيس قد أكد لهم أن مصر مستعدة لبذل كل عون تقدر عليه وأن الحكومة المصرية بالاشتراك مع الحكومات الأخرى، تستعمل بقوة وبأقصى ما يمكنها من جهد للمحافظة على عروبة كل دولة ونشر الثقافة العربية فيها، وإن السيد الرئيس يرى أن العرب كلهم عائلة واحدة. وأن اجتماع كلمتهم إنما هي من خيرهم وخير الإنسانية كلها والحكومة المصرية بالاشتراك مع الحكومات العربية الأخرى تعمل بكل قوة على جمع هذه القوة الإنسانية العظيمة ويأملون من ذلك الخير للدول العربية جمعاء".

في ذلك الاجتماع الكبير، الذي وقع بين اجتماعين للرئيس مع الإخوة ابن بلة وخيضر، ومن معهما، كما علمت فيما بعد، تعهد الرئيس عبد الناصر بأن تقبل مصر على حسابها الخاص، مائة من طلبة الجزائر، تبعث بهم جمعية العلماء ومن أجل استكمال المعلومات في الثانويات المصرية، أو التخصص في الجامعات[2].

لقد كتب الورثيلاني رفقة شيخه الإبراهيمي إلى الرئيس جمال عبد الناصر ببرقية يشكر فيها مساعيه ومجهوداته لإنجاح الثورة الجزائرية باعتباره أول صوت يرتفع عاليا مدويا بعد اندلاع الثورة التحريرية الجزائرية على تصريحاته القوية المتزنة لجريدة (كارفور) الاستعمارية،

[1] أحمد توفيق المدني، "حياة كفاح"، ج3، د.ط، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982م، ص ص 30، 31.

[2] أحمد طالب الإبراهيمي، المصدر السابق، ج5، ص46.

وبرقية أخرى إلى السيد القائم مقام أنور السادات وزير الدولة وسكرتير المؤتمر الإسلامي العام، وقد كان نص البرقيتين على النحو التالي:

« السيد الرئيس جمال عبد الناصر:

شكرا عميقا لانهاية لأثره، على تصريحاتكم العبقرية لجريدة " كارفور" الاستعمارية، وإن الجزائر والمغرب العربي في كفاحهم المرير ليحبون في سيادتكم مثال البطولة الفذّة ويأملون رعايتكم الكريمة، أبقاكم الله سندا للمجاهدين الأحرار ومخيفا للظالمين الأشرار، أما تهجمات فرنسا على مقامكم الكريم فقد أكسبتكم قلوب ثلاثين مليونا من المغاربة ومئات الملايين من العرب والمسلمين، بل حتى الأوروبيين المنصفين.[1]

السيد القائم مقام أنور السادات سكرتير المؤتمر الإسلامي بالقاهرة:

شكرا جزيلا على كلمتكم العبقرية لجريدة " الجمهورية" على شقيقتكم المكافحة وعن فرنسا أخبث شيطان، حياكم الله وزملائكم القادة الأبرار وقوى بكم جهاد الأحرار وأخاف بكم الظالمين الأشرار وبارك رعايتكم لإخوانكم باستمرار.[2]

[2] أحمد طالب الإبراهيمي، المصدر السابق، ج5، ص50.

المبحث الثالث: موقفه من القضية الفلسطينية:

لقد كان للقضية الفلسطينية النصيب الأوفر من اهتمامات الشيخ الورثيلاني، حيث لعب دورا فعالا ومؤثرا في رفد الجهاد الإسلامي في فلسطين ضد اليهود ومن والاهم[1]، حيث كتب الورثيلاني العديد من المقالات والنداءات، منها المقال المعنون ب « متى تختفي إسرائيل من الوجود»[2] حيث ذكر فيه العرب بواجبهم نحو أقدس وأطهر بقعة على وجه الأرض[3] وضرورة وضع الخلافات الداخلية بين حكام الأمة العربية جانبا والالتفاف نحو القضية الفلسطينية التي تعتبر هي أساس حل كل مشاكل الأمة العربية، وإضافة لذلك فقد نشر الورثيلاني مقال في 6 نوفمبر سنة 1946م بعنوان: "يوم إفريقيا بعد يوم فلسطين"[4] حيث أرسل هذا النداء من الجبهة إلى جميع الهيئات العربية والإسلامية ونشر في معظم الصحف حيث ذكر فيه العرب من هيئات وشخصيات بما يتعرض له إخوانهم الفلسطينيين وعن التقاعس الذي يبديه العرب اتجاه هاته القضية وقضية المغرب العربي[5].

لم يترك الورثيلاني أي فرصة لطرح القضية الفلسطينية، حيث أنه لم ينس أو يتناسى يوما هاته القضية باعتبارها القضية المحورية بالعالم العربي ككل، حيث راسل العديد من الرؤساء والشخصيات الهامة، منها الملك عبد العزيز آل سعود، ورئيس الجمهورية السورية، ورئيس وزراء مصر، والأمين العام لجامعة الدول العربية، والسلطان محمد الخامس، ووزراء الخارجية العرب، والحكومة المغربية، وملك الأردن، ورئيس مؤتمر فرانسيسكو، ووزراء الدول الخمس في مجلس الأمن.

وقد راسل الورثيلاني الأستاذ أحمد حسين رئيس حزب مصر الفتاة وإلى الهيئات العربية الإسلامية، باعتباره سكرتير جبهة الدفاع عن شمال إفريقيا، مثمنا مبادرته التي نشرها في العدد

[1] عبد الله العقيل تق، مصطفى مشهور وآخرون، المصدر السابق، ص ص 694، 695.

[2] – انظر الملحق رقم 03

[3] – الفضيل الورثيلاني، المصدر نفسه، ص263.

[4] – انظر الملحق رقم 03

[5] – الفضيل الورثيلاني، المصدر السابق، ص104.

47 من مجلة مصر الفتاة المجاهدة، والذي فيه خطاب موجه إلى رئيس جمعية الشبان والإخوان المسلمين تدعو فيه إلى التعاون في جمع المال لإنقاذ أراضي فلسطين، يحببه فيه على هذه المبادرة الطيبة في سبيل القضية الفلسطينية ويدعوه لتضافر الجهود في هذا الميدان وربط له بين قضية المغرب العربي والقضية الفلسطينية.

ويقول الشاوي محمد توفيق حول موقف الورثيلاني من القضية الفلسطينية أنه " عندما فتح باب التطوع والتدريب على السلاح لمن يريد المساهمة في الكفاح كان الورثيلاني أكثر الناس اندفاعا نحو العمل المسلح والعمل الفدائي وهذا من عادة الجزائريين جميعا وقد بدأ حينها الورثيلاني يكتب الخطابات ويبعث الرسل إلى أبناء شمال إفريقيا في كل مكان يدعوهم إلى التطوع والتسلح والمشاركة في الجهاد في فلسطين، وكان يعتبر ذلك في نظره استعدادا للجهاد في الجزائر وغيرها من بلاد إفريقيا الشمالية في الوقت المناسب الذي كان يراه قريبا.

الخاتمة

خاتمة:

من خلال الدراسة والبحث حول شخصية الفضيل الورثيلاني الذي يعتبر أحد أعمدة الإصلاح في الجزائر خلال الفترة الاستعمارية في إطار ما يسمى بجمعية العلماء المسلمين الجزائريين توصلنا إلى مجموعة من النقاط التي تعتبر نتائج لهذا البحث والتي استخلصنا من خلالها العوامل التي أثرت في شخصيته والمجهودات التي قام بها سواءا على الصعيد الإصلاحي أو السياسي وقد كانت على النحو التالي:

لقد كان للبيئية والمحيط الأسري تأثير كبير في تكوين ونبوغ شخصية الفضيل الورثيلاني حيث شجعته أسرته على مواصلة التعليم, ووفرت له جل ما يحتاجه لذلك وبهذا تعتبر أسرته من الأسر المثقفة إبان أحلك فترة في تاريخ الجزائر –فترة الاحتلال الفرنسي– رغم ما تمر به البلاد من ويلات الاستعمار إلا أن ذلك لم يمنعها من تدعيم ابنها وتشجيعه على المواصلة والمواظبة على الدراسة والعمل.

إن التحاق الفضيل الورثيلاني بالخدمة العسكرية في إطار ما يسمى بالتجنيد الإجباري للجزائريين من الوقوف أكثر والتعرف عن قرب مما يعانيه الشعب الجزائري من تمييز عنصري بينهم وبين الأوروبي، ولاحظ بأم عينيه هذه المعاملات التعسفية القاسية من دولة –فرنسا– تدعي الديمقراطية والعدالة، مما زاد في تشجيعه على إصلاح حال الشعب الجزائري لصنع جيل واع يحمل على عاتقه مهمة إزاحة الاستعمار من على بلاده.

إن جمعية العلماء المسلمين الجزائريين تعتبر الأم الثانية التي احتضنت مهمة تربية وتعليم الورثيلاني، حيث كان لها الفضل الكبير بعد الله عز وجل في ذلك وتعتبر هي المرافق والمدعم له لتحقيق وبلوغ أهدافه.

انتداب الورثيلاني إلى فرنسا من طرف الجمعية لإصلاح حال المغتربين هناك حيث قام بتأسيس مجموعة من النوادي والجمعيات لتهذيب الجالية الجزائرية هناك وتذكيرها بقيمها وأصولها والوطن الأم.

التحاق الفضيل بمصر بداية لاستئناف نشاطه السياسي, حيث استغل فرصة تواجده هناك للتعريف بالقضية الجزائرية ويقظة الشمال الإفريقي والمغاربي ككل.

استطاع الورثيلاني ربط صلات عديدة في مصر بمختلف الأوساط السياسية والعلمية والإصلاحية ومن أبرزها رجال النظام المصري من أجل الحصول على الدعم الرسمي وعلاقته بجماعة الإخوان المسلمين التي تعد من أمم التنظيمات في تلك الفترة بحيث اعتبرها مساعدا له لإيصال صوته وإسماع صوت القضية الجزائرية.

لقد ساهم الورثيلاني مساهمة كبيرة في دعم وتأييد ومساندة الثورة التحريرية الجزائرية 1954م من خلال النداءات البرقيات والرسائل التي بعث بها إلى مختلف الشخصيات والوطنيين يحثهم على المواصلة ويشجعهم على ذلك ويطلب من الأطراف الأخرى الالتفاف حول الثورة ومساعدة هؤلاء لنيل حريتهم واستقلالهم رغم بعده عن الوطن الأم.

رغم تعرض الورثيلاني للمتاعب والمشاق والمضايقات في عمله إلا أن ذلك لم يثن من عزيمته في المواصلة لأجل القضية الجزائرية أولا وقضايا المغرب العربي والشمال الإفريقي عامة.

قائمة المصادر و المراجع

المصادر:

- القرآن الكريم

أ)- الكتب والمؤلفات:

- بالعربية:

1)-الإبراهيمي أحمد طالب، " آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي"، ج1، (1929-1940)، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت (لبنان)، 1997م.

2)- الإبراهيمي أحمد طالب، " آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي (1940-1952م)، ج2، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت (لبنان)، 1997م.

3)- الإبراهيمي أحمد طالب، " آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي"، ج3، عيون البصائر، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت (لبنان)، 1997م.

4)- الإبراهيمي أحمد طالب، " آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي"، (1954-1964م)، ج5، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت (لبنان)، 1997م.

5)- الديب فتحي، " عبد الناصر وثورة الجزائر"،ط2، دار المستقبل العربي، القاهرة، 1990م.

6)- المسعودي عبد العزيز قائد، " معالم تاريخ اليمن المعاصر القوى الاجتماعية لحركة المعارضة اليمنية (1905-1948م)"، ط1، مكتبة السنحاني، صنعاء- الجمهورية اليمنية، 1992م.

7)- الشاوي توفيق، "مذكرات نصف قرن من العمل الإسلامي (1945-1995م)، ط1، دار الشروق، القاهرة (مصر)، 1998م.

8)- الشامي أحمد بن محمد، " رياح التغيير في اليمن"، ط1، المطبعة العربية، جدة، 1984م.

9)- العقيل عبد الله، تقديم مصطفى مشهور وآخرون، "من أعلام الدعوة والحركة الإسلامية المعاصرة"، ج1، ط1، دار البشير.

10)- المدني أحمد توفيق، "هذه هي الجزائر"، د.ط، مكتبة النهضة المحمدية (مصر)، 2001م.

11)- المدني أحمد توفيق، "حياة كفاح"، ج3، د.ط، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982م.

12)- الورثيلاني الفضيل، "الجزائر الثائرة"، ط4، دار الهدى للنشر والتوزيع، عين مليلة، الجزائر، 2009م.

13)- بن نبي مالك، "مذكرات شاهد القرن"، ط2، دار الفكر، سورية، 1984م.

14)- عبد الحليم محمود، "الإخوان المسلمون أحداث صنعت التاريخ"، ج1، ط5، دار الدعوة، الإسكندرية، 1994م.

15)- علال الفاسي، "الحركات الاستقلالية في المغرب العربي"، مؤسسة علال الفاسي، ط6، الدار البيضاء، 2003م.

- **المراجع:**

أ)- الكتب والمؤلفات:

- بالعربية:

16- الشريف محمد بن موسى، "عظماء منسيون في التاريخ الحديث"، ج1، د.ط، دار ابن كثير، سوريا.

17- الشريف محمد بن موسى، "عظماء منسيون في التاريخ الحديث"، ج2، د.ط، دار ابن كثير، سوريا.

18- الصديق محمد الصالح، "أعلام من المغرب العربي"، ج2، ط2، طبع بالمؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، وحدة الرغاية (الجزائر)، 2009م.

19- بوعزيز يحي، "أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة"، ج1، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت (لبنان)، 1995م.

20- بلاح بشير، " تاريخ الجزائر المعاصر (1830-1989م)، ج1، ط1، دار المعرفة، الجزائر، 2007م.

21- بورنان سعيد، "شخصيات بارزة في كفاح الجزائر (1830-1962م)، " ج2، دار الأمل للطباعة والنشر والتورزيع، تيزي وزو.

22- بن قينة عمر، "أعلام وأعمال في الفكر والثقافة والأدب"، منشورات إتحاد الكتاب العرب، د.ط، دمشق، 2002م.

23- بولحية نور الدين، "جمعية العلماء المسلمين والطرق الصوفية وتاريخ العلاقة بينهما"، ج1، ط2، دار الأنوار، الجزائر، 2016م.

24- بلاسي نبيل أحمد، "الاتجاه العربي والإسلامي ودوره في تحرير الجزائر"، د.ج، د.ط، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1990م.

25- بلحسين مبروك، " المراسلات بين الداخل والخارج 1954-1956م"، دار القصبة، د.ط، الجزائر، 2000م.

26- بن نعمان أحمد، " جهاد الجزائر حقائق التاريخ ومغالطات الايديو جغرافيا"، ط2، دار الأمة، برج الكيفان، الجزائر، 1998م.

27- تميم آسيا، "الشخصيات الجزائرية 100 شخصية التاريخية والفكرية"، ط1، دار المسك (الجزائر).

28- سالم محمد بهاء الدين، "بن باديس فارس الإصلاح والتنوير"، ط1، دار الشروق (مصر)، 1999م.

29- سعد الله أبو القاسم، "تاريخ الجزائر الثقافي (1500-1830م)"، ج2، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت (لبنان)، 1998م.

30- سعد الله أبو القاسم، "أبحاث وأراء في تاريخ الجزائر"، ج4، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت (لبنان)، 1996م.

31- سعد الله أبو القاسم، "الحركة الوطنية الجزائرية"، ج3، ط4، دار الغرب الإسلامي، بيروت (لبنان)، 1992م.

32- عمورة عمار، "موجز في تاريخ الجزائر"، ط1، دار ريحانة للنشر والتوزيع، القبة، الجزائر، 2002م.

33- كبير سليمة، "الشيخ الفضيل الورثيلاني الرحالة من أجل الجزائر"، المكتبة الخضراء للطباعة والنشر والتوزيع، الشراقة، الجزائر.

ب) - المذكرات والرسائل الجامعية:

34- العمري مومن، " شعار الوحدة ومضامينه في المغرب العربي أثناء فترة الكفاح الوطني"، أطروحة دكتوراء، مخطوطة، جامعة منتوري، قسنطينة، 2009-2010م.

35- سبقاق الطاهر، " المجندون الجزائريون في الجيش الفرنسي بالشام (1918-1946م) بين الإلتزامات العسكرية والانتماءات الحضرية"، رسالة دكتوراء، مخطوطة، جامعة الجزائر، الجزائر 2017-2018م.

36- بلبالي عبد الكريم، "جريدة البصائر الجزائرية الثانية وموقفها من قضايا معاصرة (1399-1375هـ/1947-1956م)"، مذكرة ماجستير، مخطوطة، الجامعة الإفريقية أحمد دراية-أدرار، 2012/2011م.

37- خيشان محمد، "مهام الوفد الخارجي لجبهة التحرير الوطني بالقاهرة (1947-1957م)"، رسالة ماجستير، مخطوطة، جامعة الجزائر، 2001-2002م.

38- السعيدي منال، سيف حورية، "الفضيل الورثيلاني في المشرق العربي (1940-1955م)"، مذكرة ماستر،مخطوطة، جامعة الجيلالي بونعامة خميس مليانة، 2015-2016م.

39- خلدون خولة، أسعيدي سعيدة، " جهود الفضيل الورثيلاني للتعريف بالمسألة الجزائرية (1900-1959م)، مذكرة ماستر، مخطوطة، جامعة محمد بوضياف المسيلة،2016-2017م.

40- الغربي فتيحة، " الفضيل الورثيلاني ودوره في دعيم القضية الجزائرية بالمشرق العربي (1906-1959م)"، مذكرة ماستر، مخطوطة، جامعة محمد بوضياف، المسيلة، 2018-2019م.

ج- المجلات:

41- الشمري ثعبان حسب الله علوان، "واجهات الفكر الدعوي الإصلاحي للشيخ الفضيل الورثيلاني"، مجلة كلية التربية الأساسية، المجلد 20، العدد 82.

42- مولاي عبد القادر، "دور العلامة والمصلح الفضيل الورثيلاني في الإصلاح والتربية والثورة التحريرية الكبرى"، مجلة حوليات، المجلد 17، جامعة الجزائر، العدد1.

د- المعاجم والقواميس:

43- بن منظور جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم، "لسان العرب"، ج2، دار صادر، بيروت (لبنان)، د.ت.

44- نويهض عادل، "معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر"، د.ج، ط2، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت (لبنان)، 1980م.

قائمة الملاحق

ملحق1: صورة الفضيل الورثيلاني[1]

السيد الفضيل الورتلاني (١٩٠٧ــ ١٩٥٨)

[1] أحمد بن محمد الشامي، المصدر السابق، ص 195.

الملحق رقم2: بيان إلى الثائريين الأبطال من أبناء الجزائر والمغرب العربي اليوم حياة أو موت بقاء أو فناء.[1]

إلى الثائرين الأبطال من أبناء الجزائر والمغرب العربي*
اليوم حياة أو موت: بقاء أو فناء

حيّاكم الله أيها الثائرون الأبطال وبارك في جهادكم وأمدكم بنصره وتوفيقه وكتب ميتكم في الشهداء الأبرار وحيّكم في عباده الأحرار.

لقد أثبتم بثورتكم المقدسة هذه عدة حقائق:

الأولى: أنكم سفهتم دعوى فرنسا المفترية التي تزعم أن الجزائر راضية مطمئنة فأريتموها أن الرضى بالاستعمار كفر وأن الاطمئنان لحكمها ذل، وأن الثورة على ظلمها فرض.

الثانية: أنكم شددتم عضد إخوانكم المجاهدين في تونس ومراكش، وقويتم آمالهم في النصر، وثبتم عزائمهم في النضال، وقد كان من حقهم الثابت أن ينتظروا هذه النجدة منكم فجئتم بها في وقتها وكفَّرْتُم عن التقصير بهذه المباغتة المفزعة لعدوّكم.

الثالثة: أنكم وصلتم بثورتكم هذه حلقات الجهاد ضد المعتدين الظالمين، الذي كان طبيعة ذاتية في الجزائري منذ كان، وكشفتم عن حقيقته الرائعة في إباء الضيم والموت في سبيل العزة وجلوتم عن نفسيته الجبارة ما علق بها في السنين الأخيرة من صدإ الفتور.

الرابعة: أنكم بيّضتم وجوهًا وأقررتم عيونًا، وسررتم نفوسًا، مملوءة بحبكم معجبة بصفاتكم القديمة في الجهاد، رائية لحالتكم الغابرة.

أيها المجاهدون الأحرار:

إن فرنسا لم تترك لكم دينًا ولا دنيا: فأوقافكم مصادرة لم يبق منها أثر ولا عين، ومساجدكم حولت إلى كنائس ومرافق عامة، وأرضكم الغنية مغصوبة، وأعراضكم

---

[1] - أحمد طالب الإبراهيمي، المصدر السابق، ج5، ص ص 47،48.

مستباحة، وكرامتكم مهدورة، وقد أراقت فرنسا من دماء أبنائكم أنهرًا في الحروب الاستعمارية والإجرامية، ولا تزال حتى الآن تطمع في تسخير الملايين منكم لإذلال الأحرار من أمثالكم، كما فعلت في مدغشقر والهند الصينية، ولا تزال تساوم بكم وبخيرات أرضكم الدول الكبرى لمصالحها، كأنكم ضرب من البضاعة؛ ولقد عرفنا من خبث فرنسا ما يحملنا على الاعتقاد بأن ما تنويه من غدر وما تخفيه من حقد أعظم من أن يوصف فانتبهوا أشدّ الانتباه.

أيها الأحرار الجزائريون، أيها المكافحون في جميع أقطار المغرب العربي:

اعلموا أن الجهاد للخلاص من هذا الاستعباد قد أصبح اليوم واجبًا عامًا مقدّسًا، فرضه عليكم دينكم وفرضته قوميتكم، وفرضته رجولتكم، وفرضه ظلم الاستعمار الغاشم الذي شملكم، ثم فرضته أخيرًا مصلحة بقائكم لأنكم اليوم أمام أمرين: إما حياة أو موت، إما بقاء كريم أو فناء شريف.

الملحق رقم3: يوم إفريقيا الشمالية بعد يوم فلسطين[1]

يوم إفريقيا بعد يوم فلسطين (10)

نداء الجبهة إلى العرب من هيئات وأفراد

أرسل هذا النداء من الجبهة إلى جميع الهيئات العربية والإسلامية ونشر في معظم الصحف

أيها العرب الأمجاد، لعل من الخير أن نعلم جيدا أن ما نبذله في سبيل فلسطين العربية أقل بكثير مما يبذله خصومنا الصهيونيون فمن أجل ذلك تأخر النصر الذي وعد الله به المظلومين فلقد بذل الصهيونيون أموالا طائلة في سبيل استبعادها ولم نبذل نحن في سبيل التحرير غاليا إلا الكلام ولسنا «والله» بالفقراء كما يتوهم الكثير فلو جمع كل عربي منا جنيها واحدا ثم استغنى عنه لصندوق العربية «مثلا» وهو ما لا يعجز عنه أحد لتجمع لدينا ثمانون مليونا من الجنيهات نستطيع أن نهد بها الجبال فضلا عن شراء أراضي فلسطين جميعها. ثم بذل الصهيونيون في سبيل إذلالنا أرواحا كثيرة وأسالوا دماء غزيرة وهم من وصفهم القرآن بأنهم أحرص الناس على الحياة ولم نبذل نحن أيضا للدفاع عن عزنا غالبا «ونحن نتربص إحدى الحسنين» إلا الكلام. ولست مع هذا بالمقلل من شأن الكلام إذا كان «الكلام لقي الفؤاد» وإنما جعل اللسان عليه دليلا إنما أخشى أن يصير الكلام لنا حرفة وكيفما تم مرضا نتلهى به كما يتلهى الأطفال باللعب فيحل الهزل محل الجد ويكون من وراء ذلك «لا سمح الله» بلاء عظيم، ثم أن اليهود اتخذوا لهم زعماء أحاطوهم بسياج من التكريم والتقديس دونه تكريم وتقديس الملوك ولنا نحن زعيم واحد هو سماحة المفتي الأكبر وهبه الله كل معاني النبل وجعله رمزا لخلود فلسطين العربية فأقل ما يقال أنه لم يجد منا كل ما يليق بمثله أمهد بهذه الكلمة لأسجل «من ناحية» عدم الرضى عن مقدار ما قدمه

[1] - الفضيل الورثلاني، المصدر السابق، ص 263، 265.

العرب إلى الآن لصالح قضية فلسطين كما وكيفما وأنهم من ناحية أخرى لم يقصروا من حيث إبداء الإستياء وإلهاب الشعور في المناسبات المختلفة فلقد كتبوا كثيرا وخطبوا كثيرا وقامت المظاهرات المتعددة والإضرابات المتكررة وقد أطلقوا على بعض هذه الأيام «يوم فلسطين المجاهد» ولم يذهب ذلك سدى بل كان له أثره العظيم ولعل أول الحرب كلام ثم غضب ثم بذل للأموال والأنفس ثم فوز بالنصر المبين بإذن الله. أقول هذا عن فلسطين العزيزة هنالك كتلة عظيمة أخرى عربية تقاسي الأمرين أصابها حيف كبير من إخوانها العرب وليست ظروفها «من جهة» بأقل خطورة من ظروف فلسطين المجاهدة ولن يستطيع العرب «من جهة أخرى» أن يحيوا حياة العزة والكرامة بدونها وهذه الكتلة الجبارة هي شمال إفريقيا العربي - تونس - الجزائر - مراكش - لم يقسم العرب لهذه الكتلة نصيبها الكامل حتى من هذا الكلام - الكلام الملهب للشعور المعبر عن الإستياء والمدلل عن التضامن والألم المشترك، إن فيها الثلاثين مليونا هم من أكثر العرب عددا وأشدهم بأسا وانسجاما وأطولهم صبرا واحتمالا وينظرون إلى إخوانهم في الشرق كما ينظر الناس إلى الشمس التي تمدهم كل صباح بالنور والحرارة ويبذلون ثمنا غاليا من أنفسهم وأموالهم والمحافظة على هذا التراث العربي المشترك من قومية ودين هؤلاء المجاهدون والمستميتون من إخوانكم لا يرهقونكم اليوم بمطالبهم ولكنهم يريدون فقط، وفي إلحاح شديد أن يلمسوا شعوركم متدفقا قويا نحوهم، ولما كانت الوسائل لإبداء هذا الشعور كثيرة، وقد أعربتم عنه في مظاهر كثيرة نريد أن يتكرر اليوم في صورة أقوى وواضح وأعم. نتقدم بندائنا هذا لجميع الهيئات الإسلامية والمسؤولين من الأفراد مقترحين وراجين أن يعملوا على تخصيص يوم يطلقون عليه «يوم إفريقيا الشمالية» ونقترح نحن أن يقوم هذا اليوم على ما يلي: «وللقائمين عليه بعد الرأي الأعلى».

نقترح أن يكون الإضراب في ذلك اليوم عاما في جميع الأقطار العربية وأن تصدر الجرائد بإفتتاحيات على شؤون هذه البلاد وأن تجمع الهيئات في دورها وأنديتها لتنظيم الاحتجاجات ضد عدوان الفرنسيين فيها وأن تنظر في طريقة جديدة لمقاطعتهم عند اللزوم وأن تؤلف لجنة لجمع إكتتابات تواسي بها منكوبي الثورات في تلك البلاد ثم نهيب بالحكومات العربية من جديد على تحديد موقفها من هذه البلاد الشقيقة من الدولة الفرنسية الظالمة بالصراحة والوضوح. نذكر هذا على سبيل المثال والتفاصيل تدرسها الهيئات عند إجتماعها. أما واجبنا الأساسي في هذا النداء هو أن نلج على المسؤولين لإقامة هذا اليوم الخالد «يوم إفريقيا الشمالية المجاهدة» وأن نؤكد لهم بأن أثره عند إخوانهم في المغرب سيكون عظيما وفوق ما يظنون إن شاء الله وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون.

12 ذو الحجة سنة 1365

6 نوفمبر سنة 1946

1- الفضيل الورثيلاني، المصدر السابق، ص 263، 265.

الملحق رقم4: متى تختفي إسرائيل من الوجود [1]

متى تختفي إسرائيل من الوجود؟

أمام هذا الواقع المر، فإن الذي يرضيني أنا ويرضي الأجيال، هو أن يعمد المسؤولون العرب أولا: إلى خلافاتهم، فلا يدفنونها دفنا، إلى يوم الدين، ذلك ما لا أطمع فيه، ولكن يضعونها في صندوق محكم الغلق، ثم لا يفتحونه، حتى يختفي الاستعمار من أوطانهم، وحتى تختفي إسرائيل من الوجود، وأن الذي يرضينا أن يستعد العرب مثل إسرائيل وأكثر من إسرائيل، لأن العرب معتدى عليهم، في بقعة مقدسة من أراضيهم، وأنهم مهددون بالاعتداء، في بقية تلك الأراضي جميعا، وأن الذي يرضيني أنا والأجيال أخيرا، أن تعبئ حكوماتنا الحرة، كل ما تملك من مال ورجال، وعن طريق القوانين والأوامر، من غير إعلان ولا ضجيج، ومن غير تسول.

والأمة العربية، ليس من حقها وواجبها، أن تدفع إسرائيل عن نفسها فحسب، ولكن من حقها وواجبها، أن تقذف بها إلى العدم، لأنها دمل مصطنع عن قصد وسابق إصرار، لأجل إقلاق راحة العرب، وقد يقول بعض القراء العاجزين الانهزاميين، أنني في هذه المطالب شاعر فيلسوف، فلا يهمني قولهم، لأنني لست إلى قصار النظر أكتب، وفي الكلمة التالية أخلص إلى محل الشاهد، وأسأل العرب الأشقاء: ماذا فعلوا لإخوانهم المكافحين في الجزائر والمغرب العربي.

[1] - الفضيل الورثيلاني، المصدر السابق، ص104.

قائمة الملاحق :

الرقم	عنوان الملحق	الصفحة
01	صورة الفضيل الورثيلاني	86
02	بيان إلى الثائريين الأبطال من أبناء الجزائر. والمغرب العربي اليوم حياة أو موت بقاء أو فناء	87
03	يوم إفريقيا الشمالية بعد يوم فلسطين	89
04	متى تختفي إسرائيل من الوجود	92

فهرس المحتويات	
إهداء	
شكر وعرفان	
قائمة المختصرات	
مقدمة	5
الفصل الأول حياة الفضيل الورثيلاني 1900-1959م	
التمهيد المبحث الأول: مولده ونشأته:	11
المبحث الثاني: تعليمه ورحلاته:	15
المبحث الثالث: وفـاته وأثـاره:	20
المبحث الرابع: شهادات حول شخصية الفضيل الورثيلاني:	22
خلاصة الفصل	27
الفصل الثاني جهوده في المجال الإصلاحي	
المبحث الأول: نشاطه الإصلاحي بالجزائر:	29
المبحث الثـــاني: نشاطه الإصلاحي في فرنسا:	40
المبحث الثالـــث: نشاطه الإصلاحي في اليمن:	44
المبحث الرابع: نشاطه الإصلاحي في بلدان أخرى:	51
خلاصة الفصل	58
الفصل الثالث جهوده في المجال السياسي	
المبحث الأول: دوره في المجال التنظيمي:	60
المبحث الثاني: مساهمته في الثورة التحريرية الجزائرية 1954م	68
المبحث الثالث: موقفه من القضية الفلسطينية:	73
الخاتمة	76
قائمة المصادر و المراجع	79
قائمة الملاحق	86
فهرس المحتويات	/